



علی قزایا علی سرایا



# سلام الراسي

## على قرايا وعلى سرايا

أضواء على أقوال وأفكار  
العامة في لبنان

توزيع  
معرض الشوف الدائم للكتاب  
٥٠٧٥٧٦ - ٥٥



مؤسسة نوفل شرم

بيروت - لبنان

جميع حقوق الطبع محفوظة للناسـر

الطبعة الثامنة

١٩٩٩



٩٩ شارع الصوراتي • بيروت • لبنان • فاكس ٣٥٤٣٩٤ (٠١)

تلفون ٣٥٤٨٩٨ (٠١) ٧٤٦١٣٠ (٠١) ٤٩٩٠٧٤ (٠١) ٣٥٣٥٠٨ (٠٣)



## مقدمة الطبعة الخامسة

سُئِلَ اعرابي: «أي ابنائك أحب إليك». قال: «غائبهم حتى يحضر ومريضهم حتى يبرأ وصغيرهم حتى يكبر». كتابي هذا هو أشهر كتبي اسماً وأصغرها حجماً... حتى يكبر. لذلك أضفت إليه، في طبعته الخامسة هذه قسماً جديداً «من كعب الدست»، مع إعادة تبويب وتصويب بعض الأقسام الأخرى، والله حسبي ونعم الوكيل.

## مقدمة الطبعة الثانية

في ظني أننا لا نستطيع معرفة شخصية لبنان الحقيقية إلا من خلال درس شخصيته القروية.

ففي حكايات العامة من اللبنانيين، وفي حكمهم وأمثالهم واصطلاحات أقوالهم تكمن مقومات حضارة لبنانية متكاملة بعفويتها وعراقتها وجمال مفاهيمها.

في كتابي هذا مجموعة من مكتوباتي في هذا الموضوع نشرت الطبعة الأولى منه في البرازيل، قبيل نهاية سنة ١٩٧٦. وأنا أعيد الآن طبع الكتاب في بيروت، بعد تنسيقه وتعزيزه بصُور جديدة.

ولا بد من الإشارة إلى أن أكثر هذه الصور الجديدة منتخبة من مجموعة الدكتور رثيف ناصيف الفنية، باعتبارها تمثّل الشخصية اللبنانية الأصيلة، من مختلف الفئات، ولا علاقة لهذه الصُور، أو لأصحابها بمضمون الأقوال أو الأحداث المذكورة في الكتاب.

## مقدمة الطبعة الأولى

يستعمل عامة الناس في أحاديثهم، كلاماً غير الذي يستعمله الخاصة من رجال العلم والفكر والسياسة. لذلك قيل: حَكِي قَرَايَا وَحَكِي سَرَايَا.

وكما يوجد عند الخاصة أدباء وعلماء ورجال فكر، كذلك يوجد عند العامة محدّثون ورواة وأصحاب كلمة تعبق أقوالهم بجمال الفكر والحكمة والأدب.

في هذا الكتاب محاولة لإلقاء الأضواء على جمال أفكار وأقوال عامة الناس في لبنان.

القسم الأول

أدب العامة في لبنان

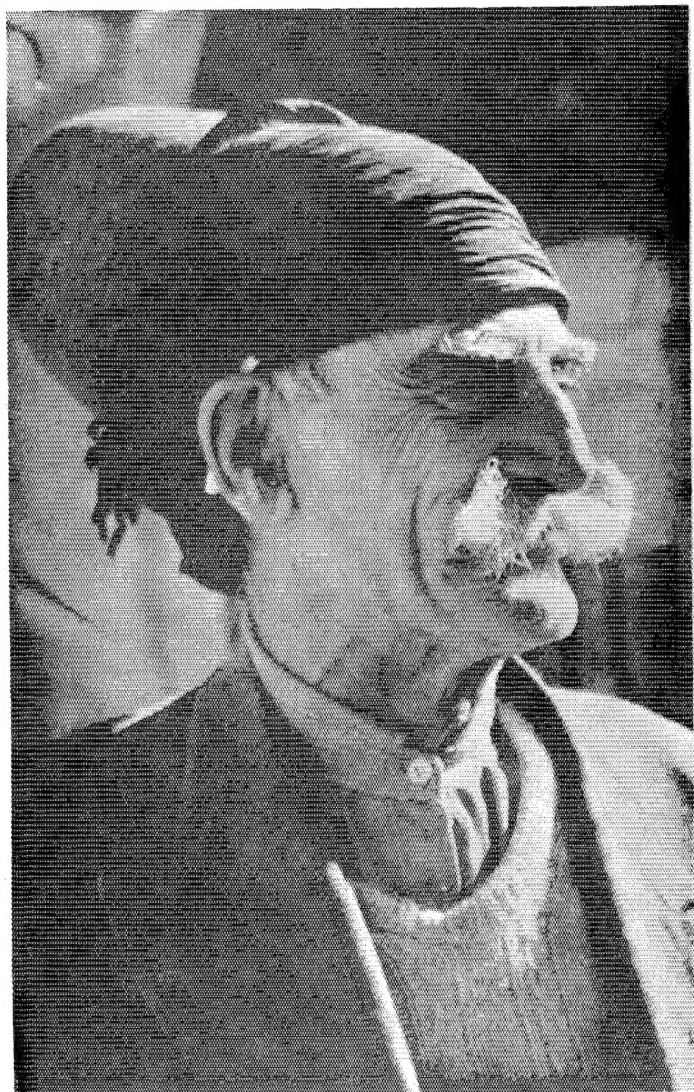


## أَدَبُ الْعَامَّةِ أَدَبُ الْإِنْسَانِ

قلما سمعتُ مُتحدِّثاً قروياً يتغزَّلُ بأشعة الشمس الذهبية،  
أو يتغنَّى بجمال الفراشات والطيور والأزهار والكواكب والغيوم  
والأشجار وما أشبه ذلك من الأشياء الجميلة الجمادة المألوفة.

لكنه إذا تحدَّث في مواضيع إنسانية وحياتية، كالمرجلة  
والمروءة والتعزية والحكمة، ورأى الرجل في المرأة، أو في  
الحكومة مثلاً، فإنه يستعمل عندئذٍ أجمل العبارات وينتقي  
أفخم الكلمات.

وإذا افتقر أدب عامة الناس إلى أوصاف جمال الأشياء  
الجمادة، فإنه، ولا شك، يزخر بأوصاف جمال المواقف  
والمفاهيم والأقوال والقيَم والأفكار، وكل ما له علاقة  
بالإنسان.



رفّ العقاب وما وقف عاشاربو      خايف تيشنكح بقفلة حاجبو

## حكى قرايا وحكى سرايا

من مرويات الشيخ يوسف زخريا، محافظ الجنوب  
الأسبق، أنه كلّف أحد مفتّشي المعارف درس إمكانية فتح  
مدرسة في إحدى قرى الجنوب.

فذهب المفتش واجتمع بأهل القرية وأخبرهم أن الحكومة  
قررت أن تفتح في قريتهم مدرسة رسمية مختلطة.

فسأله: شوي يعني «مختلطة»؟.

قال: يعني بينخلطو الصبيان والبنات سوا.

فانكمش الحاضرون قليلاً إلى أن قال أحد رجال القرية:  
العلّه، نحنا جماعه، فهماتنا شغل دياتنا، منخاف الساعور  
ينطح القرقور... ويفلت الملق... وتعوأ شوفوا على مين  
الحق؟ الحق على اللي ربط القرقور حدّ الساعور...

فلم يظن المفتش - المتخرّج حديثاً من إحدى جامعات  
فرنسا - إلى مضمون كلام الرجل، وقاطعه: منحكي بالعلم،  
بتصيروا تحكوا بالمعزى، مش لازمكم مدارس... خلي  
فهماتكم شغل دياتكم.

ورجع المفتش وقَدَّم تقريراً في غير مصلحة أهل القرية .  
وبعد مدّة استدعى المحافظ مختار القرية وسأله عما  
حدث، قال: المشكل، سيدنا، إنكم نسيتموا حكي القرايا،  
قبل ما تعلّمونا حكي السرايا، لذلك، صار الراعي بوادي  
والرعيّ بوادي، ما حدا فهما عا حدا . . . يا بترجعوا تحكوا  
حكي قرايا، يا بتعلّمونا نحكي حكي السرايا، يما إنتو  
بحالكم ونحن بحالنا .

## إن شفت الفقير معجوق قول الغني مسخرو

في سوق «النبطيّه» سمعت رجلاً يسأل رجلاً آخر: شو  
قصتو ابنك موسى معجوق، من الصبح رايح جاي؟ .  
أجاب الرجل: ابني مكلف من قِبَل جماعة الليسته،  
بتوزيع البطاقات، الله وكيلك صرلو يومين مثل ما قال المثل:  
قَطّع نعلك شي ما ضاع لك .

فقال رجل كان يجلس جانباً: يا بو موسى، الشيخ عبّاس  
كان يقول: إن شفت الفقير معجوق، قُول الغني مسخرو .



## مَا فِي جُودِ إِلَّا مِنَ الْمَوْجُودِ

المعلم اندراوس إسكاف عتيق متقاعد، ناصت عيناه  
وصُوفَن شارباه وَحَفِيت هامته، فمن كثرة استعمال عقله هَرَّ  
شعر رأسه - هكذا يقول المعلم اندراوس عن نفسه.

عاتبني يوماً لأنني استأجرت شقَّةً غالية، قال: قَوْلِب  
حياتك حسب مصريَّاتك.

هكذا ما زال عقل المعلم اندراوس داقراً عند قوالب  
الأحذية يستعملها في قولبة عباراته ومسمرة كلماته.

ويتعمق المعلم اندراوس في شرح مفهوم علاقة المرأة  
بالرجل، فيتهم أحد القديسين بأنه قال: كما تلتصق الفرعة  
بالنعل، هكذا تلتصق المرأة بزوجها.

ويستطرد أخونا الاسكاف العتيق: وكما يهترى النعل قبل  
الفرعة، بسبب كثرة الاحتكاك، هكذا يهترى الرجل ويموت  
قبل زوجته.

وعندما يتحدّث المعلم اندراوس عن امرأة ترمّلت حديثاً،

يقول: هَرَّتْ نعلها. فإذا سمع عن رجل كهل تزوج امرأة شابة قال: بكره بتركبُلو نص نعل، وفهمكم كفايه.

في أحد الأيام سمعت المعلم اندراوس ينصح ابن أخته بأن لا يتزوج إلا فتاة قوية الجسم متينة البنية، قال: يا ابني، المراه مثل الصرمايه، بتهتري عالاستعمال، جييها من الأول ماكنه وقويّه، بتضايين معك لآخرتك.

## ابن حكومته، بس ابن أودم!

من أطرف ما حدث معي، خلال عملي في وظائف الدولة، أن رجلاً من جبل عامل دخل مكتبي وسأل عن معاملة تخصّصه، ولم تكن المعاملة عندي، ولم يكن إنجازها من اختصاصي، مع ذلك، وبسبب حساسيتي نحو أبناء منطقتي - جبل عامل - خرجت أبحث عن المعاملة، فوجدتها نائمة في أدراج أحد زملائي، وانصرفت إلى درسها وانجازها.

وعندما ودّعني الرجل، شكرني بحرارة، وقال بعفوية وبراءة: صحيح إنك ابن حكومه، بس هيئتك ابن أودم!

## لَوْ خَبَّرَكَ وَلَا تَلَوَّثَ لِسَانُكَ

في «خريبة الشوف» توقَّفنا أمام مشجرة سقط فيها بعض الجرحى، وكان المتشاجرون ينتخون ويتمهيصون، لكننا لاحظنا أنهم لم يستعملوا في شجارهم أية عبارة شائنة.

وعند عودتنا إلى بيروت، توقَّفنا أمام سائقين يتشائم، فيهدّد الواحد أن يفعل ويسوّي في أم الآخر - وهو جالس في سيارته - ثم يمضي كل واحد في سبيله، دون أن يفعل شيئاً، فقال رفيقي: صَدَقَ مَنْ قَالَ: اللي ما بيعرف طعمة تمّو، ما بيسأل عن شرف أُمّو.

\* \* \*

ومن أخبار القاضي السابق نصري نصّار، أنه كان يحقق في إحدى الجرائم، فقال المدّعي إن المدّعى عليه طعنه في خاصرته وقال له: يا ابن الفاعله الصانع، بدّي إدعس رقبتك.

فسأل القاضي، المدّعى عليه، لماذا طعن المدّعي وشتّم أمّه، فقال: القضية، سيدنا، على ثلاث طوق:

- أول طاق: لكزتو بالخنجر، هذا صحيح، بس ما طعنتو، لو طعنتو كنت قتلتو!.

- ثاني طاق: كنت ناوي إدعسلو رقتو، هذا كمان صحيح، بس ما جافص معي، لو جافص معي كنت دعستلو رقتو.

- ثالث طاق: أنا ما شقعتلو، ولا ممكن شقعلو، لأن المرحوم جدِّي كان يوصيني: إذا انحوجت لَوْتُ خنجرك ولا تَلَوْتُ لسانك.

## وصل الخبر لبوطبر

التقى في مكتبي رجلان. وبعد أن صافح أحدهما الآخر، قال: شو قصّصو صاحبنا؟ بعد الكبرا جبّه حمرا؟

فقال الرجل الآخر: معلومك، صاحبنا كل عمرو عينو لبرّا، وجارتو موضوع قابل... وجوزها يا غافل إلك الله... بس سلفتها حندوقة عينها، بالتالي اشتلقت، ووصل الخبر لبو طبر واللي ما دري يدري.

## الناس مع الواقع

جاري «أبو شاكر»، دائماً «مع الواقع» .  
سألته يوماً عن حكمته في الحياة، فقال:  
يُحكى أن السبع، ملك الوحوش، أدركته الشيخوخة،  
فغشى بصره وشحّ نظره. فقبع في عرينه، رهن وساوسه  
وشجونه، فأقبل الثعلب يزوره وأقعى قرب الباب مترحراً  
غير هيّاب، ومدّ حديثاً، قال:

- قالت الحكماء: «إذا شحّت الأبصار، عليكم بلحم  
الحمار! إنه يجلب العافية، ويُنير الأعين الغاشية، ويشدّد  
الركب المتراخية». وقد عاينت في طريقي إليكم الآن، حماراً  
سميناً متعافياً، يرعى في مكان قريب، فإن راق لكم الأمر  
رافقتكم إليه، فتنعمون بقلبه. ولسانه ودماغه، وهي خلاصة  
الخلاصات لإطالة الحياة، وتتركون الفضلات لعبدكم  
الثعلب، تعويضاً لي عن إخلاصي لكم في أخرج الأوقات.

فللمم السبع ما تبقى من عزيمته ونهض ومشى إلى جانب  
الثعلب الذي راح يتملّق: «سلامة نظرك سيدي السبع! أنا

فذاك سيدي السبع! حيّاك الله وبياك يا ملك الوحوش!». .

وعندما وصلا إلى حيث كان الحمار، تبرع الثعلب بنصيحة إلى السبع، قال: «من الحكمة أن تأتيه من وراء، فتأخذه على حين غفلة».

لكن الحمار، هذه المرة، لم يكن غافلاً، فتناول السبع برفسة على صدغه، وأخرى تحت أذنه، فترنّح الأسد وسقط على الأرض مغشياً عليه. وعندما بدأ يستعيد أنفاسه، سمع الثعلب يقول: «صباح الخير يا سيدي الحمار!... لا شُلتَ عيينك يا ابن أتان!... أيد الله عزّك أيها الجحش العظيم، يا صاحب الصوت الرخيم، والعقل السليم، والظهر القويم، والذيل الطويل المستقيم!». .

فانتفض السبع، وصاح: «وما هذا التبجيل والتفخيم». .  
أجاب الثعلب: «الناس مع الواقع، إلى أن تنجلي المواقف!». .

فصار جواب الثعلب من الأقوال المأثورة، إلى يومنا هذا.

## المهم أن تقتنع الدجاجة!

الحاج سعد الدين ليس له رأي في ما يجري حوله من أحداث. فشلت جميع قناعاته في حياته، فإذا حاولت أن تقدّم إليه أية قناعة جديدة، قال: «المهم! أن تقتنع الدجاجة!» ثم يضرب لنا مثلاً.

- حُكي أن رجلاً أصابته لوثة في عقله، فظنّ نفسه حبة قمح. وفكّر ملياً في الأمر، قال: «أنا حبة قمح، هذا أكيد، وحبة القمح تأكلها الدجاجة، وهذا أيضاً أكيد... إذن أية دجاجة وجدتني أكلتني».

وانزوى الرجل في بيته، فاجتمع أصدقاؤه حوله، وقالوا له: «أنت تتكلم وتمشي وتأكل وتنام وتعرف من نحن فهل رأيت في زمانك حبة قمح تفعل هكذا».

ففكّر الرجل قليلاً، ثم أذعن وقال: «صحيح! وين كانوا عقلائي، الحق معكم أنا رجل ولست حبة قمح».

فشكروا الله لأنه هداه، وخرجوا فخرج معهم مشيعاً.

لكنه لم يصل إلى الباب حتى صرخ: «دجاجة، دجاجة»  
وهرب إلى الداخل، فتبعوه، وقالوا: «إنَّا أقمناك فاقننت  
أنك لست حبة قمح، فلماذا خفت من الدجاجة؟».

قال: «من جهتي! اقننت... لكن أرجوكم أن تقنعوا  
الدجاجة».

## يَا مَآ نَاسٍ مَّانَتْ بِالْغَلَطِ

ويضرب لنا، جاري الآخر «أبو سلوم»، مثلاً آخر،  
قال:

يُحكى أن ثعلباً كان متوجهاً إلى المدينة، فالتقى رجلاً  
وسأله عن الحالة، قال الرجل إن حرس المدينة يقومون  
بمصادرة الحمير، لنقل القمح والشعير إلى اسطنبول.

فقفل الثعلب راجعاً.

فسأله الرجل عن سبب رجوعه. مع أن المصادرة هي  
للحمير لا للثعالب.

قال الثعلب: «أخاف إن أنا دخلت المدينة أن يأخذوني  
بالغلط... وإلى أن يتم تعريب الثعالب من الحمير، أكون  
قد مُتُّ من الخبيط... أو من اللبيط».

ويضيف الأخ أبو سلوم: «يا عمي! يا ما ناس ماتت  
بالغلط».



## كل مصّة بغصّة

عاش في قريتي رجل حكيم عليم اسمه «أبو يوسف» وعاشت أقواله الماثورة، بعد موته، وقتاً طويلاً، على شفاه الناس، وما زالوا يستشهدون بها في شتى مناسباتهم.

في مجلس عام تبرّع أبو يوسف بنصيحة إلى شاب قيل إنه كان يتردد على امرأة مشبوهة، فقال: «لعنة الله على المذكورة... المرا العاطلة، يا ابني! مثل الثوم: طعمتها مليحة... بس ريحتها فضيحة».

وفي معرض حديثه عن النساء كان يقول: «الواحد مِنّا يفتكر كل النسوان أحسن وأفهم من حرمته. بس الحقيقة، كل جنس النساء واحد... النسوان، يا إخوان! مثل السفرجل: كل مصّة بغصّة».

وإذ كان يجد قبولاً لكلامه عن النساء، بين الرجال، كان أبو يوسف يضيف: المرا، يا إخوان! مثل ما قال عنها الشيخ بو علي مسعود: «تحمل بلاها... يما بلاها!».

سمعتة يوماً يقول: «الله يحيرنا من المرا المعتّده...».

والمرتدة . . . وشواشة المخدّة .

فقلت: «المعتدة . . . فهمنا، والمرتدة . . . الله لا يردها، لكن مَنْ هي وشواشة المخدّة؟» قال: «بنت الحرام، اللي لا بتنام، ولا بتخلي زوجها ينام!».

## أنت رحت من بالي

المعلم مهنا، قهوجي مديرية المباني، لا يهتم غالباً بالكلام الجميل المنمّق ولا تتيح له ظروف عمله تداول الأحاديث وتبادل المجاملات.

أوصيته يوماً على فنجان قهوة فراح ولم يعد. وبعد ساعة لمحته يحمل فنجان قهوة إلى زميل لي، في غرفة مجاورة، فناديته: أين قهوتي يا مهناً؟ هل نسيتني؟.

فحكّ جبينه برهةً، ثم قال: لا والله، أنا ما نسيتك، بس إنت رحت من بالي.

## مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ ، سَمَّوُا الدِّيكَ "بُوقَاسْمَ"

الحاج رضا عامص، «يُعين ولا يستعين»... إلَّا بالله المستعان - على حدِّ قوله - سألته عن حجَّته في حكمته، فضرب لي مثلاً: - بعدما خلق الله الخليقة، أراد تنظيم مملكة الطيور، فوجَّه سيدنا «جبرائيل»، عليه السلام، تعميماً على ذوات الأجنحة، للحضور، لانتخاب أركان دولتهم.

وبلغ الخبر مسامع «الديك»، فنهض واستنهض حاشيته المؤلفة من إثنين وثلاثين دجاجة، بينهنَّ الرقطاء والطوزاء والمشرولة والمسلمقة وأم قاق وأم قراق، وغيرهنَّ من الخليلات العتاق. ومشى أمامهنَّ، مختالاً، يتلفَّت إليهنَّ ويستعرضهنَّ من وقت إلى آخر.

وكبر أخونا الديك في عين نفسه، وقال:

- «النسر» هو أعظم الطيور، ولا يجوز أن أنافسه على سدة الملك، حتى لا يحدث انشقاق في المملكة، أما الإمارة، فهي كذلك، من حقِّ ابن خالتي «الباز». تبقى مشيخة الطيور، ولا يوجد مَنْ هو أحقُّ مني بها.

وهنا الديك نفسه سلفاً، وقال: «قبل أن تغيب شمس هذا النهار، سيصير إسمي الشيخ بو قاسم الديك»<sup>(١)</sup>.

وراح الشيخ «بو قاسم» يتبرّع بالألقاب الكريمة على حاشيته العظيمة، هذي شيخة، وهذي شويخة، وهذي فرخة، وهذي فريخة...

فدبّ الحماس في حناجر الشويخات والفريخات، فانتظمن في صفوف وحلقات، وأخذن بالحداء:

«يا شيخ بو قاسم، يدوم العزّ».

«القمح المصوّل، فضلتك، والرزّ».

\* \* \*

وحدث أن هراً حصيماً من أصحاب الكرامات، كان قائماً للصلاة، في أحد المنعطفات، فتخذّشت أذناه وتشوّشت تقواه من تنافر الأصوات، وعدم انسجام الوقوة مع القوقاة، وبسبب رطانة الإيقاع، وركاكة التلحين والإبداع، فتحلفص وتقلص وتجمهر وتزمهر، فتغفر موكب الدجاج في الوعور والفجاج.

فاستعاذ أخونا الديك، واستعان، وتلفّت فوجد نفسه

---

(١) توجد حكاية أخرى عن سبب تسمية «الديك أبو قاسم» وهي منشورة في كتاب «حيص بيص».

وحيداً في المعمعان، ثم جمع ساقيه، وقفف جانبيه،  
وتنفّض، وصاح: «يا سامعين الصوت، أنا الشيخ بو قاسم  
الديك... يا شيخه، يا شويخه، يا فرخه، يا فريخه...» ولا  
مَن يسمع ولا من يجيب.

وصدف أن بومةً عتيقةً كانت تقضي عطلتها في قرقارة  
شجرة زيتون قريبة، وسمعت وقشعت، فهتفت: «يا شيخ بو  
قاسم الديك، شيخه، وشويخه، وفرخه وفريخه... لشو  
هالذوّيخه؟ عند الضيق، لا رفيق ولا صديق!».

فجرى كلام البومة قولاً ماثوراً إلى يومنا هذا.

## الرمح ما بيتخبّ بالعديلة

في ساحة «شبعاء» وقفتُ أمام باب دكان أسأل عن رجل  
من أبناء البلدة، فقال شاب: شو بتريد منو؟..

فانتهره أحد الشيوخ من الداخل: يا محمود... الرمح  
ما بيتخبّ بالعديلة، إذا كنت بتعرف وينو قول وينو، نحنا ما  
تعودنا نخبي رجالنا من وجوه الناس.

## السلام والكلام

يُحكى أن فلاحاً كان عنده حقل مزروع بطيخاً وكان ابنه معه في الحقل، فمرت جماعة من البدو وحيّت. فلم يردّ الفلاح التحية.

فسأله ابنه: السلام لله، فلماذا لم تردّ التحية بمثلها؟  
قال: يخاف السلام يجرّ كلام، والكلام يجرّ بطيخ.

## حَسَبَ السُّوقِ مَنَسُوقٌ !

في إحدى القرى، معلم مدرسة ترك وظيفته ولبس ثوب الكهنوت وصار «خوري رعيّه». وعندما سُئل كيف يبرّر عمله، قال:

- بعدو مار شليطا أعظم من بسمارك، ومارروكز أفهم من أديسون، وبعدو مار جرجس ييمعظ نابليون كل يوم قتله بساحة ضيعتنا.

واستطرد: ونحن حسب السوق منسوق!

## اللي بيدي بيدي واللي مابيدي بيقول كف عدس

لنا زميل، كالازميل، كلماته حفر وتنزيل، «نتحركش» به أحياناً بخبر مثير أو بسؤال من نوع «لزوم ما لا يلزم» فيجيب بأسلوب محكم، يكون غالباً مثلاً من الأمثال الشعبية لا أجمل ولا أحكم.

لكن مثله المفضل في المواقف المخرجة كان وما زال «اللي بيدري بيدري واللي ما بيدري بيقول كف عدس».

ويضيف زميلنا هذا كلما رجع مرجوعه إلى مثله المفضل: «وهذا ما يحدث غالباً، يسكت من يدري، ويتكلم من لا يدري ليؤكد ويجزم ويحسم أن القضية هي قضية كف عدس»، لا أكثر ولا أقل.

وسألناه أخيراً: «وإذا لم تكن القضية قضية كف عدس، فماذا عساها تكون؟». قال:

- كان لفلاح ابنة صبية، وكانت تعاونه يوماً في «تذرية» العدس على البيدر. إلا أنه اضطر إلى أن يذهب لقضاء

إحدى الحاجات، وعندما رجع وجد ابنته في وضع مريب مع شاب غريب وراء عرمة العدس.

فثار الفلاح وأخذته الحمية وهجم على الشاب الذي ولّى هارباً أمامه إلى حيث كانت جماعة من الرجال تدخلوا لفضّ الخلاف وسألوا الشاب فأجاب أنه أخذ كفاً من العدس - أي حفنة من العدس - من بيدر الرجل فهجم عليه يريد قتله من أجل «كف عدس».

فصاح الجماعة بالفلاح: «ويحك يا رجل! أتريد أن تقتل الشاب من أجل كف عدس»! فاستدرك الفلاح وأدرك حالاً أنه ليس من مصلحته ومصلحة ابنته أن يعرفوا الحقيقة وقال: «صحيح! وين كانوا عقلائي... روح يا ابني الله يسامحك بكف العدس».

وانتقلت قضية «كف العدس» إلى دواوين القال والقال: كيف حاول الفلاح أبو فلان وهو رجل راجح العقل أن يقتل شاباً من أجل كف عدس!!!

بيد أن رجلاً واحداً من أهل القرية كان قد رأى، من بعيد، ما حدث وراء عرمة العدس، ولأن كتمان السرّ من صفات أهل الشرف اكتفى بالقول: «اللي بيدري بيدري، واللي ما بيدري يقول كف عدس».

وجرى كلامه مجرى الأمثال إلى يومنا هذا.



## ألف قوله «آخ»

تزوَّجت إحدى الفتيات، فزوَّدتها والدتها، قبيل انتقالها إلى بيت زوجها، بنصيحة:

- «يا بنتي، لا تكوني غشيمة، «المرأ الغشيمة بتمرق المي تحتها»، حاولي دائماً أن تعرفي أسرار زوجك حتى تطول أيامك عنده».

ولم يلبث الرجل أن اشتلق على اهتمام زوجته بمعرفة أسرارها، فأضمر شيئاً في نفسه، وبحث عن موكرة دبابير، واستحضر نعارة فخار دهنها من الداخل بالدبس وحملها ووضعها بالقرب من المدبرة، فدخلت إليها شرذمة من الدبابير. عندئذ سدَّ الرجل باب النعارة وربطه ربطاً محكماً وجاء بالنعارة إلى بيته.

فسألته زوجته عما في النعارة.

قال: «فيها «آخ» و«آه» ويا أمي ارحمني».

فهزّت رأسها وقالت في نفسها: «بعدو مفتكرني غشيمه».

وانتظرت المرأة حتى خرج زوجها، وتقدمت وفتحت

النعارة، وانحت لثرى ما في داخلها، فثارت الدباير في وجهها:

ولطشها دبور في أنفها،  
ونمشها آخر في خدها،  
ونتشها ثالث في جفنها،  
وعفشها رابع في حنكها،  
وكدشها خامس في شفتها،  
وقرشها سادس في قرقوشة أذنها.

وبعد حين رجع الرجل، وسمع زوجته تصيح: «آخ يا عيني.. آه يا منخاري...».

فصاح بها: «ووين رحتي بيا أمي ارحميني؟».  
قالت: «ألف «آخ» و«آه» ولا قولة غشيمه!».

القسم الثاني

المرأة مرآة الرجل



## المرأة في أدب العامة

المرأة أهم هموم الرجل . وهي شغله الشاغل .  
وكما عند أدباء الخاصة ، كذلك ، عند أدباء العامة . أقوال  
في المرأة ، وعن المرأة ، تملأ عدّة كتب .  
ومنذ أكلت حواء من الثمرة المحرّمة ، وأطعمت جدّنا  
آدم ، عليه السلام ، صارت المرأة ، في نظر الرجل ، مسؤولة  
عن أكثر الهموم والمتاعب .  
وهذا ما يتمثل ، بجلاء ، في أدب العامة ، بالنظر لعفويته  
وأصالته .



الكذب ملح الرجال

## فلسفة فهم طبائع النساء

يقول سلامة موسى، في مقال نشره في مجلة المقتطف، إن الإنسان قد يكون فيلسوفاً بدون علم، وقد يتعلم كثيراً ولا يصير فيلسوفاً.

فإذا صحَّ هذا القول يكون جاري أبو جميل من فلاسفة هذا الزمان، فهو - بالإضافة إلى كونه غير متعلم - غشيم في جميع شؤون الدنيا، لكنه فيلسوف في فهم طبائع النساء.

فمن كثرة ما تفرقح في متارسة طبائع زوجته، صار يفهم عليها بالإشارة: إن هي رمشت أو تنحنحت أو سكتمت أو بربست أو غمغمت أو مغمغت أو برطمت أو زنقرت أو شفترت أو تنحرت أو قنفعت حاجبيها أو قوفعت ساقها على ركبتيها... وتزمهرت.

سمعته يوماً ينادي ابنته عن الطريق: يا سعاد، قولي لأُمك إنني رجعت من طرابلس، بس نسيت جيب السكرينه من عند أمها، أنا رايح لعند أختي، وبعد ساعتين راجع عالييت.

فقلت له: ولماذا تريد من الآن أن تكذّر خاطر أم جميل  
بهذه الخبريّة ما دامك راجع بعد ساعتين؟

قال: منشان تحمى وتبرن قبل ما إرجع.

ويشرح أبو جميل مضمون فلسفته في النساء، فيقول إن  
النساء تحب المماحكة، فإذا أردت أن تجادل زوجتك في أمرٍ ما  
راحت تماحك فيك أسبوعاً على ريق بطنها: بدّك تراتح مع مرتك،  
حركشها حتى تحمى واتركها حتى تبرد منها لحالها.

## المرا مرارة : يا غشيمّة، يا قسّارة

ذهبنا يوماً، نخطب يد فتاة، لأحد الأصدقاء، فأراد  
والدها، من قبيل اللياقة، أن يأخذ رأي زوجته، التي شاءت  
أن تتمعزز، وقالت: البنت بعدها زغيره، ملحق على  
زواجها.

فاحمرّت عينا زوجها غضباً، وتراقص شارباه في وجهه،  
وقال: الحرمة، إذا زوجها اعتبرها وأخذ رأيها، لازم تقول:  
إنت صاحب الرأي، ومثل ما بتفصّل منلبس.

وأضاف الرجل: قدّيش صار لي بعلم هالمخلوقه تحكي  
حكي كبير بعدها بتحكي حكي زغير... يرحم بي من قال:  
المرا مرارة: يا غشيمه، يا قهّاره.



## المحروس بدو عروس!

يقال إن اللبنانيين هم الذين ابتكروا أكل اللبنة بالزيت، مع خبز الصاج المرقوق. وكانت ربّة البيت، كل صباح، تلفّ لكل ولد من أولادها رغيماً بلبنة - كانوا يسمّونه «عروس بلبنة» - وهو ترويقة الصباح لجميع الأولاد تقريباً. وتروي سيدة مرجعونية قصة العروس بلبنة، قالت:

كان لرجل وامرأة ابن وحيد، بلغ الثالثة عشرة من عمره، وفي إحدى الليالي أرقت المرأة وفكرت في مستقبل وحيدها، قالت: يقبرني منصور صار شبّ - يخزي العين عنو - وصار لازم من اليوم بلّش دبّرو عروس حلوه وعاقله وبنّت حلال.

وبدأت أم منصور تستعرض صبايا القرية:

- سلمى بنت الجيران... طرطوقه.

- مريم بنت بو سمعان... حلوه، بس مجلوقه.

- حنه بنت ابن عمي مخايل... الله يستر عليها.

- دلال بنت بو جريس... مثل القاق، سيقانها رفاق.
- بنات بو عزّوز... الأولى جلقا، والثانية عينها بلقا،  
والثالثة طق شرش الحيا... نجينا يا رب!
- أكابر بنت الحاج خطار... صيت كبير، والمزرعة  
خربانه.
- وكانت أم منصور، كلما أوشك زوجها أن ينام، لكشته  
وسألته، وأجابت نفسها بنفسها:
- بو منصور، شو رأيك ببنت بو قناتل؟... بس أمها  
شلعبونه.
- بو منصور، شو قولك بجارتنا وديعه؟... لولا ما  
إخوتها شي تكتك شي تيعا.
- بو منصور، يمكن فكرك ببنت أختك جميله... المثل  
بيقول: إبعد عن الشر وغنيلو.
- بو منصور، ليش ساكت؟ بنت خيك بطرس؟...  
شوف، شوف، أنا مش مجبوره حط هالقمله بدقني.
- وأكملت أم منصور، تلك الليلة، جولتها، على بنات  
القرية:
- هذي مسملقه وهذي مبحلقة، هذي مرعوطه وهذي  
قلعوطه، هذي جولاقه وهذي لقلاقه، هذي أهلها شلمصطيّه

وهذي حوستها مجريه، هذي بلا خصر مثل قطرميز مصر  
وهذي مثل البومه، مكبتله ومصرومه.

أخيراً أصبح الصباح ولم تجد أم منصور، بين بنات  
القرية، عروساً تليق بابنها، وفطنت إلى أن أهل القرية صاروا  
يقولون لها في كل مناسبة: «من فرحة المحروس». فأخذتها  
نشوة من الفرح ونهضت جالسة في فراشها، وقالت بصوت  
مرتفع: معلوم! بدهم يجوزوا بناتهم، أنا مش مجبوره نفق  
بنات الناس، بكسر الجرّة وبجيها من برّه، والي بدو يصير  
يصير.

فاستيقظ عندئذ منصور وطلب من أمّه أن تلف له رغيفاً  
بلبنة، فقال لها أبو منصور: يا أمّ منصور، حساب الحقله  
شي وحساب البيدر شي، كل الليل تفتشيلو على عروس  
والصبي بدو عروس بلبنه.

## زَلَمْنَاهَا عَلَى طَبْطَابِ كَيْفِهَا

جاري الحانوتي «أبو عبيد» كلما التقاني، حَدَّثَنِي عن أولاده: عندي هالصبي الزغير، صايرين عقلاتو مشوشرين من عشرة ابن بو سالم الي كل عمرو طلطميس، بس خِزاة العين عن ابن الحاج تامر، لو بَتَحَلَّ مداكشة الولاد، كنت بداكشو بالأربعة الي عندي.

وينتقل أبو عبيد إلى الحديث عن أخته: قال: نشكر الله، زَلَمْتَهَا عَلَى طَبْطَابِ كَيْفِهَا، بس الله ما تممها معها. إنها الكبير فهماتو عاقدُو، والثاني علماتو شكاره، والثالث عقلاتو بياخذوا وييعطوا، والرابع مليح، بس مثل ما قال المثل: أكل ومرعى وقَلَّةُ صنعه.

## لا تلزّو ! واقِفْ عا شَوار

إذا كنت عاطلاً عن العمل وأردت أن تتسلّى مجاناً، عليك بمستشفى الجامعة الأميركية في بيروت. فأطيب قيلولة تكون في أحد صالوناته الرحبة، حيث تتفرّج على الناس من مختلف الأجناس لوجه الله.

فهنا سيدة فلسطينية متأمركة، وهناك سيد لبناني متأفّرق، نصفه من جبل عامل ونصفه الآخر من السنغال.

وقرب أذني اليمنى امرأة تتلقمط، أغلب الظن أنها تعلق، وعن يساري رجل يقطع بحبّات سبحة، فيحدث إيقاعاً متوازناً مع لقمطة المرأة.

وهؤلاء الرجال الثلاثة، لابسو الدشدشات البيضاء، يتكلمون كلاماً عربياً لم أفهم منه سوى إسم أحد المصارف وماركة إحدى السيارات المشهورة.

وذلك الشمحط يسند الحيط بظهره، كأنه حيط، إني أقسم بشرف جاري المتلقمطة أن هذا الرجل خرج من السجن منذ أسبوع، وأنه سيعود إليه اليوم.

وفي صدر القاعة، سيدة شقراء، ما برحت ترفع ساقاً  
على ساق، حتى ظهر الفارياق - بالإذن من روح أحمد فارس  
الشدياق.

وها هنا فتاة سمراء، لا تنفك تروح وتجيء، تارةً مقبلة،  
وتارةً مدبرة، وهي تلبس بنطلوناً ضيقاً ملتصقاً بفخذيهما  
المكّورين ووركيها المتنافرين، بحيث يبدو ما بينهما قريباً وبعيداً  
في نفس الوقت، وصدق مَنْ قال إن بنطلون المرأة يُسْتَرُّ لكنه  
يُفسَّرُ!

بيد أني ما جئت الآن، إلى هذا المكان، لأجمع فرايط  
المعاني، أو لأقبض هذه الفراطة من رخيص الكلام، بل جئت  
أعود صديقاً قُطعت رجله وجلست ها هنا، برهةً أفكر في ما  
عسى أن أقول مؤاسياً.

أول ما خطر في بالي بيت من الشعر أرسله أحد شعراء  
الجنوب إلى رشيد بك نخلة، عندما اقتطعت رجله في أواخر  
أيامه، قال:

نَوَاءً، وَقَدْ وَفَّيْتَ لِلْمَجْدِ حَقَّهُ  
فَمِثْلُكَ مَنْ يُسْعَى إِلَيْهِ وَلَا يَسْعَى

لكنني تذكرت أن الرجل الذي جئت أعوده، لم يدفع في  
زمانه حق المجد، ولا حتى ثمن البرّاد الذي اشتراه بالتقسيط

منذ سنتين، ناهيك عن إجرة أربعة قداديس عن روح والده،  
إلى خوري الضيعة.

وعلى ذكر رشيد بك نخلة تذكّرت، كذلك مطلع قصيدة زجلية  
أرسلها إليه الشيخ علي الزين، لنفس المناسبة، قال:

يا بيك قلبي عليك مثل النار  
والعين بصيره والأيادي قصار  
والجيد ما يستاهل العشره  
لكن عثرات الجياد كشار

ثم فطنت إلى أن الرجل يكره ذكر البكوات والأفندية  
وكدت أعود من حيث أتيت، وإذا بباب المصعد ينشقّ عن  
خليط من بني آدم بينهم رجلان جهاميان، الأول إفرنجي برّي  
يحمل بيده قضيب زعرور والثاني أفندي عتيق من بقايا تركيا  
كان يتابع حديثاً بدأ به قبل أربع ساعات، قال:

- بو ناصيف كثر مطاليليو، كل مطلوب أصعب من  
مطلوب، قلنالو، يا عمي، كثر الشدّ بيرخي، هذا شب  
عقلاتو براس طربوشو، والمثل يقول: «لا تلزّو، واقف  
عاشوار»، إذا نقرز مين بيعود يحوشو. الخلاصة نقرز وراح،  
ولزقت البنت بشوارب بيّها.

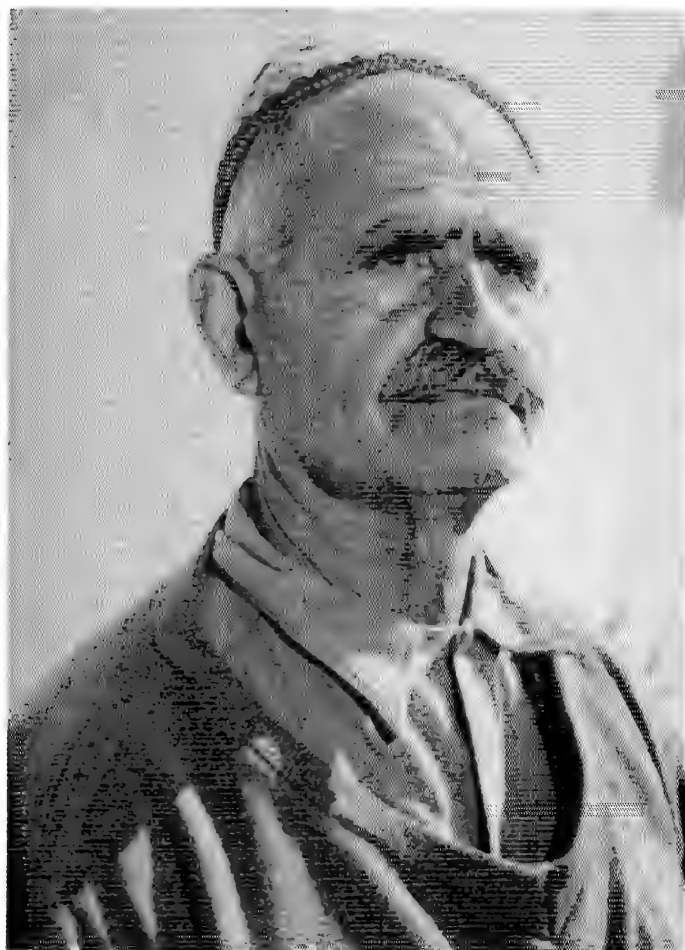
فقال صاحب قضيب الزعرور: «الحكي بيناتنا، الشب  
كان يعطي إذنو لأم سعيد، كل ما راح وإجا كانت توشوشو  
وشووشه».

فقال الأفندي: «بيجوز... أم سعيد بتعمل عمايلها،  
وبترخي شمايلها».

وانتهت عندئذٍ إلى رجل من أبناء قريتي يتناول يدي  
مسلياً، وقد جاء لنفس الغاية التي جئت من أجلها،  
فاصطحبني إلى غرفة الرجل المبتور الرجل، حيث كانت  
زوجته تحيطه بالعناية وتحاول أن تخفف أوجاعه بحنان ودراية.

افتتح الحديث رفيقي، فقال: «صحيح! المرأ إجر الزلمي»  
وأضاف: كان أسعد سقسوق من صناديد الرجال، وكانت  
كلمته مثل السيف، مرةً سأله: «إذا خيروك بين موت مرتك  
وقطع إجرك، شو بتختار؟» قال: «إن ماتت مرقي بتكرسح  
بس إذا انقطعت إجري بتعكز عامرقي»، والمثل يقول: «المرأ إجر  
الزلمي، والزلمي تاج راسها».





مدري من أيا مقلع بجيبو حجار الصّوان  
حتى من المقلع إقلع صخرة وسمّوها لبنان

## لا تلوم الغائب تأمحر!

فما كان مختار إحدى قرى البقاع الغربي، يحاول أن يروي لي قصة إحدى عجائز قريته، ليطلعني على حالتها الاجتماعية، قال:

- انكسرت تركيا سنة الثمانطعش وتشنطط عسكرها قطايح. جنح<sup>(١)</sup> عسكري على ضيعتنا ولطي عند حرمة مقطوعه، والحرمة - معلومك - مقشوعها قصير. بلا طول سيره تجوزتو، وبس دفي جانحو، ليله من الليالي، ظهر بحاجة نفسو وانطفئ خبرو، لكن الحرمة بعدها ناطره، لحد اليوم، وإذا حدا سألها عنو، بتقول: لا تلوم الغائب تا مضر!

---

(١) إذا أصيب العصفور في أحد جانبيه تحامل وطار إلى حيث يجد مكاناً يجتئى فيه من وجه الصياد، فيقال: جنح العصفور أي طار بجناح واحد.

## هَيْهَاتَ تَقْتَمِنُوا قَائِمٌ

في حديث عن أزمة لبنان - خلال الأحداث الدامية - وعن الضائقة الخائفة التي كان يرزح تحتها، تحدّث الزميل عيسى حمادة، قال:

- موظف نزيه محدود الراتب، له زوجة كثيرة المطالب، أثقلت كاهله بالمصاريف حتى أرهقته الديون وكثُر حوله المطالبون فأشارت عليه زوجته بالرحيل، وطلبت منه أن ينقل أمتعة البيت وينتقل بها تحت جناح الظلام إلى مكان آخر.

ورضخ الرجل لمشورة زوجته، وانبطح على بطنه وطلب منها أن تجمع أمتعة البيت على ظهره لينقلها إلى حيث أرادت.

يقول عيسى إن المرأة شحطت البرّاد وقلبته على ظهر زوجها، ودركبت الغسّالة على قفاه، وشلقحت السجادة والحصيرة على كتفيه، وحوحشت ما تبقي من الأمتعة وراحت تشقّعها فوق ساقيه، حتى همدته... ثم قالت: «ما بقي غير جرن الكبة».

قال: «طَّيِّ الجرن عا راسي، وتعربطي برقبتي».

قالت: «بخاف ما تعود تقدر تقوم فينا كلنا».

قال: «ولك يا تقبريني، بَعْدِكَ لليوم حتى عرفتي إني ما عدت إقدر قوم؟ أنا فيك وحدك مش قادر قوم، بدي أقدر قوم بهالدنيا كلها؟».

## المرأ خزانة، والزلم بلا أمانة

قرب مدخل «كفرنبرخ» سمعت إحدى العجائز توصي امرأة شابة تهم بركوب سيّارة: ما تنسي يا بنتي، إن المرا خزانة، والزلم بلا أمانة... كوني قد حالك، اللي ما بتنتبه لحالها، بيتغبروا ذياها.

## يودّوا نعاويها، ولا يتغيروا فيها

ثم رويت لأحد الأصدقاء حكمة عجوز «كفرنبرخ»، فتذكّر وذكر أنه بينما كان يزور خالة زوجته في صيدا، وهي عجوز تسعينية، دخل رجل وأخبرها أن إحدى حفيداتها سافرت إلى أميركا لتتعلم فن الرقص، وذلك غصباً عن والديها. فلطمت العجوز صدرها وصاحت: ايه يا رب! يودّوا نعاويها ولا يتغيروا فيها.

## مَا بَتْنَقْفَرِ الْبُضَاعَةِ، إِلَّا بَعْدَ الْحَبْلِ وَالرِّضَاعَةِ

من القصص القديمة في قريننا، أن شاباً من القرية، تزوج امرأة من خارج القرية وكانت على جانب من الجمال، فشكرت والدته الله وقالت: «الصبي غاب وجاب». وفرح جميع الأهل بالزوجة الجديدة، ما عدا جدة الشاب التي تحفظت بالمثل القائل: «ما بتنقفر البضاعة إلا بعد الحبل والرضاعة».

في ذلك الوقت، متى حبلت المرأة، كانوا يقولون إنها استقامت، هكذا كانوا يقرنون الحبل بالاستقامة، وكانت الرضاعة من مقومات الكمال النسائي.

وبعد مدة، صدق تحفظ الجدة العجوز، لأن المرأة الجميلة الغربية لم تستقم، وكان الأهل يريدون ولداً لإبنهم الوحيد، فأنتهى مشروع الزواج بالطلاق.



الله ینجینا من تلج نisan، ومن کید النسوان

## ختيار بالدار ، ولا عازة الحجار

«ام شحاده» امرأة فيها زخم الرجال، ختيرت وبقيت كما قال المثل: يا أرض اشتدي ما حدا قدي. نيرانية المزاج، كلماتها شراقيط أينما وقعت أحرقت، وكانت طرايش شتائمها تصيب المستحقين وغير المستحقين.

وكان عندها لكل جارة من جاراتها معيار:  
- المقرقة، المجرعه، ام سماليق، ام شلاليق، بنت  
القرعوم، وبنت بوزلطوم.

وكانت ترتجل وصفاً لكل امرأة في القرية:  
- منخارها مثل طرطان الفخ. فراشيخها مثل ماعوس  
المحدلة. إجريها مثل مشاطيح التنور. الله خالقها سطر  
عجله. عيونها مثل دعس الدجاج بالوحل.  
فإذا تأدبت أم شحادة اضطراراً، قالت عن إحدى  
الصبايا:

- يخزي العين... شوها الرشاقه؟... مثل الشرشاقه!

كان في قريتنا رجل، كلما أراد أن يحل مشكلاً زاده  
تعقيداً فسمته أم شحادة «عَرَبْس»، وبقينا نناديه بهذا الاسم  
حتى أخذ الله وديعته.

في بعض الأحيان، كانت بعض نساء القرية يجاربنها في  
حفلات التشايع، مداراةً لخاطرها وخوفاً من لسانها.

التقيتها يوماً، فسألتها أين كانت، قالت: كنت عند أم  
خليل، رحت دُعيت عندها عالمختار دُعيت ودعّت معي، أم  
خليل جبارة خواطر، الله لا يكسر لها خاطر.

والتدعي هو استعداد الله على أحد الناس:

- يصيبو، ينيبو، ييكي حريمو، ينصر غريمو، ييليه ربي  
بالعمى والفقر وطول العمر.

وكان زوجها أبو شحادة رجلاً سليم النية، قليل  
الخصية، هاجر إلى المكسيك وتهجّع في ديار الغربه حتى  
شاخ وعاد أخيراً مهيبض الجناح، فلا يجرّ ولا يُجرّ عليه سلاح.

وذهبنا للسلام عليه، فإذا أم شحادة قد انقلبت امرأة  
لطيفة، أنيسة، أنيقة، مشرقة كأنك استبدلتها بأخرى.

ولم أشأ أن تمرّ المناسبة بدون حركوشة بريئة، فسألتها:  
كيف رضاك على بوشحادة يا أم شحادة؟



فابتسمت ويادرتني بمثل قديم من الصميم: ختیار بالدار  
ولا عازة الجار.

## طلاق الكبير، يا قلة التدبير

سمعت رجلاً يسأل رجلاً آخر: دَخَلَكَ ليش بو مرعي  
طَلَّقَ حرمتو؟ قال:

- أول دان... جلجوقه.

- ثاني دان... مجاكرجيّه.

- ثالث دان... خاوزت مع ابن خالتها على ابن إخت  
زوجها. بالتالي... دِمْلَه وانْفَقَتْ.

فقال الرجل الأول: غلط بو مرعي، الله يسامحو...  
الطلاق بو ندامه، نسي شو قال المثل: طلاق الكبير، يا قلة  
التدبير. المرحوم الحاج صابر، بآخر أيامو، كان يقول: الحرمة  
بالبيت، ولو كانت فحمة عرّاطه، دخانها يعمي ولا بردها  
يضني.

## أَوَّلُ دَفْعٍ مِنْ حَقِّ الْعَجَلِ

فَلَّاحٌ، كَانَ عِنْدَهُ عَجَلٌ كَثِيرٌ النَّطَاحِ، فَكَرِهَتْهُ زَوْجَتُهُ  
الْفَلَّاحُ وَأَكْرَهَتْ زَوْجَهَا عَلَى بَيْعِهِ أَوْ التَّخْلِصِ مِنْهُ بِأَيِّ حَالٍ  
مِنَ الْأَحْوَالِ.

وَبَعْدَ أَنْ تَعَذَّرَ عَلَى الْفَلَّاحِ بَيْعُ الْعَجَلِ نَقْدًا، بَاعَهُ دَيْنًا -  
بِنَاءٍ عَلَى إِيْلَاحِ زَوْجَتِهِ - إِلَى رَجُلٍ مِنْ قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ، وَتَعَهَّدَ ذَلِكَ  
أَنْ يَدْفَعَ ثَمَنَ الْعَجَلِ أَقْسَاطًا فِي مَوَاعِيدٍ مُحَدَّدَةٍ.

وَعِنْدَ اسْتِحْقَاقِ الْقِسْطِ الْأَوَّلِ، حَضَرَ الرَّجُلُ وَاعْتَذَرَ وَقَالَ  
إِنَّهُ يَأْسِفُ أَشَدَّ الْأَسْفِ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ تَأْمِينَ الْقِسْطِ.

وَدَخَلَ الرَّجُلُ إِلَى بَيْتِ الْفَلَّاحِ وَاسْتَوَى جَالِسًا وَمَدَّ  
حَدِيثًا، فَاضْطَرَّ الْفَلَّاحُ إِلَى أَنْ يَقُومَ بِوَاجِبِ الضِّيَافَةِ، وَطَلَبَ  
مِنْ زَوْجَتِهِ إِعْدَادَ عِشَاءٍ لِلرَّجُلِ وَمَكَانَ لَائِقٍ لِبَيْتِ فِيهِ.

وَيُظْهِرُ أَنَّ الرَّجُلَ لَحِقَهُ طَرَفُ بَرْدٍ وَشَوِيَّةٌ نَفْخَةٍ - أَجَلَ اللَّهُ  
شَأْنَكُمْ - فَأَخَذَ يَتَوَرَّكُ وَيَتَوَعَّكُ فِي فِرَاشِهِ، ثُمَّ أَطْلَقَ طَلْقًا  
جَفَلَتْ مِنْهُ زَوْجَةُ الْفَلَّاحِ وَاسْتَيْقِظَتْ وَلَكَشَتْ زَوْجَهَا وَسَأَلَتْهُ:  
«شَوْ هَذَا؟».

الناس اجناس، ناس بيتناس بالحكي، وناس بالناس



قال: «هذا أول دفعه من حق العجل».

لكن الدفعات توالى والطلبات تكررت، طلقاً بعد طلق، وكان الفلاح كلماً سمع طلقاً لكز زوجته وقال: «خذي... ظليتي تنقي عالعجل حتى بعناه بالتقسيط، إقبضي وتبجحي يا بنت بو كراعين».

وفي الصباح ودّع الرجل، بعدما فطر، وقال للفلاح وزوجته: «الله يقدرني على مكافأتكم».

أجاب الفلاح: «كافيت ووفيت» أو «كفّيت ووفّيت» كما يقول البعض، وهي تعني في الحالين: «كافأتنا ووفيتنا حق العجل».

وهكذا، كلما قال قائل الآن: «الله يقدرني على مكافأتكم» كان الجواب، تلقائياً: «كفّيت ووفّيت» على أساس هذه القصة، كما جرت عبارة: «أول دفعة من حق العجل» مجرى الأمثال.

## البَقَّ وَلَا النَقَّ

بعد يوم حافل بالمتاعب أوى شكر الله إلى فراشه، وقبل أن يستغرق في نومه، تشهّلت زوجته ونادته:

- شكر الله، قطّاب امك رايحه جاي لعندي، شو فكرها تعملني مكسر عصا؟

ثم بعد ربع ساعة أيقظته وقالت:

- شكر الله، وصلت مواصيلها مرة خيّك تحرقني بسكريبتها بس طويلة عارقتها... .

وبعد نصف ساعة همدرت:

- شكر الله، وصيّتك تودّي التنوره لأمي، ما وديتها شو بدها تلبس بكره عبكره؟

وقبل أن يتصف الليل لكزته وقالت:

- شكر الله، ابن بو سبع صرلو جمعه بيخورك حول البيت، وبتتنا صارت صبيّه، وأنت معنقر شاربك ومش قاشع شو في عا جانبك.

وعبثاً حاول شكر الله أن ينام، لأن زوجته بقيت تنقّ عليه:

- شكر الله، انت مش حاسس، ولاد الشنديب عملو فينا بالشكر بَكْر.

- شكر الله، انت مش زلمي، المي مارقه من تحتك.

- شكر الله، ماتت خالتك، كوكشوها إخوتك عن بو جنب.

فنهض شكر الله أخيراً وحمل فراشه وذهب إلى غرفة أخرى وهجع في سبات عميق غير أن زوجته ما لبثت أن لحقت به وأيقظته وقالت:

- شكر الله، شفت إنك بلا دَبَّار، جيت تنام هون، نسيت ان الأوضه فيها بق؟

فصاح بها: وَلِكِ الْبَقِّ وَلَا النَّقِّ<sup>(١)</sup>.

---

(١) البقّ حشرة لثيمة جداً تقرص النائم فيطير نومه.

## رُجِعَتْ سَلْتُهُمَا بِلَاتَيْنِ

الحاج شحاده فهد من هواة أنتيكا القصص اللبنانية  
اتصل بي وأتخفني بالقصة التالية :

- بعد هجرة طويلة في البرازيل عاد جبّور، «الجيبه مليانه  
والصحه عدمانه» وأخذ يبحث عن عروس من بنات الضيعة.  
وبسبب تقدّمه في السن كان - كما قال الحاج شحاده -  
يلاهي الناس بجيبيتو عن شييتو.

أخيراً حط عينه على إحدى الفتيات، وذهب يطلب يدها  
عن يد خوري الضيعة، وقال إن الله أنعم عليه بما يكفل  
مستقبلها، وإنه يضع تحت تصرّفها جميع إمكانياته المادية،  
بشهادة المحترم. فأثنى المحترم وثني على كلام الخواجه جبّور.

وكان والد الفتاة ذكياً لبقاً، فقال: «نحن ما متكبّر  
عالخواجه جبّور، بس أخونا جبور غاب وطول غيبتو وذاق  
الخلو والمرّ وشبع من زمانو وتنهنه، والبنت بعدها صبية،  
والصبية نفسها مشتهيه، ومعلومك يا محترم، كل ثمره بتنقطف

بأوانها، وَلَسِبَدَّ ما البنت تشتهي وتمدَّ إيدها عالتينه تقطف كوز  
يِّن، منخاف التينه تكون صارت مفطّمه، ترجع البنت  
خاييه، كسفة الخاطر صعبه وشماتة العدا أصعب».

فقال الخواجة جبّور: «يِّن كثير، إيدها على ما تعطيها».

وتم النصيب واقرنت الفتاة بالخواجة جبور. لكن يظهر  
أن تينة الخواجة جبور كانت مفطّمة بالفعل، وصار ما كان في  
خبر كان وثبت عدم الإمكان.

وقبل أن يجهجه الصباح رجعت الفتاة وأخبرت أباه بما  
حصل وبما لم يحصل. فتوجّه حالاً إلى بيت الخوري وقرع بابه  
وقال له: «رجعت البنت يا محترم! قوم دبر المسألة بمعرفتك».

فسأله الخوري: «ليش رجعت؟».

قال: «طلعت سلّتها بلا تين».

فجرت عبارته مثلاً.



## شحر ومينه شحر

إذا تفاجأت إحدى العجائز بخبر مثير للحنن، صاحت:  
«شحر ومينه شحرا!» أي أن هذا الخبر يوجب تشجير الوجه  
بالشحار الأسود، وهو علامة الحزن والحداد عند العامة، في  
لبنان.

يقول أبو الحسن داود إن لهذه العبارة قصة طريفة، قال:

كانت لِرَجُلِ ابنتان، تزوجت الأولى فلاحاً، والثانية  
فاخورياً. وأراد الرجل يوماً أن يتفقد ابنتيه، فزار الأولى أولاً  
وسألها عن أحوالها، قالت: «حالتنا بالويل، زرعنا كل بذارنا  
عَفِير، والعفِير بَدُو شِتا بَكِير، والدنيا بتغيم بتغيم ما كانت  
تعرف تشقي... من هُون لآخر الجمعة، إذا ما شَتَّت مَوْدَر  
البذار وخرّب بيتنا».

فقال الرجل: «لا، لا... الله كريم، مش شايفه الدنيا  
طالعه معبّقه من الغرب، غيمه ورا غيمه، بكره عابكره  
بتكون الدنيا طايفه بالشتا».

قالت ابنته: «الله يبشرك بالخير طمّنتلي بالي».

ثم انتقل الرجل إلى بيت ابنته الثانية وسألها عن أحوالها، قالت: «حالتنا بالويل، كل فخارنا برّا وبعُدو بدون حرق، مش صاير لنا محرق حتى نحرقو إلا بآخر الجمعة، والدنيا مغيمه، ونحنا خايفين تشتي... إن شتت قبل آخر الجمعة، فاش الفخار وراح كل تعبنا خساره».

فقال الرجل: «لا، لا... الله كبير، وين الشتا، مش شايفه الغيم نتاتيف نتاتيف، مثل خبز الشعير البايث، هذا كلو غيم شوب، أنجق لآخر الشهر تشتي الدنيا».

فقالت ابنته: «الله يبشرك بالخير طمّنتلي بالي».

وعندما رجع الرجل إلى البيت، سأله زوجته، كيف حال البنات.

قال: «بلّشي شحري وجهك، إن شتت فاش الفخار وأن ما شتت مودّر البذار».

فصاحت: «شحار ومية شحار!».

القسم الثالث

لكلّ مقام مقال



## ألف أجير يُسرق ولا شريك يحاسب

نزل أحد القرويين إلى بيروت وحلّ ضيفاً على ابن اخته، وهو استاذ اقتصاد في إحدى الجامعات. وحدث أن كان الأستاذ مدعواً إلى سماع محاضرة في موضوع اقتصادي، ولم يشأ أن يترك خاله وحده في البيت، فاصطحبه معه.

وبعد أن تكلم المحاضر زهاء نصف ساعة، سأل القروي ابن اخته: عن شو عم يحكي الأخ؟

قال: انه يشرح لنا لماذا نجحت الشركات المساهمة في أميركا وأوروبا، في حين ما زال الاقتصاد اللبناني يقوم على المبادرات الفردية.

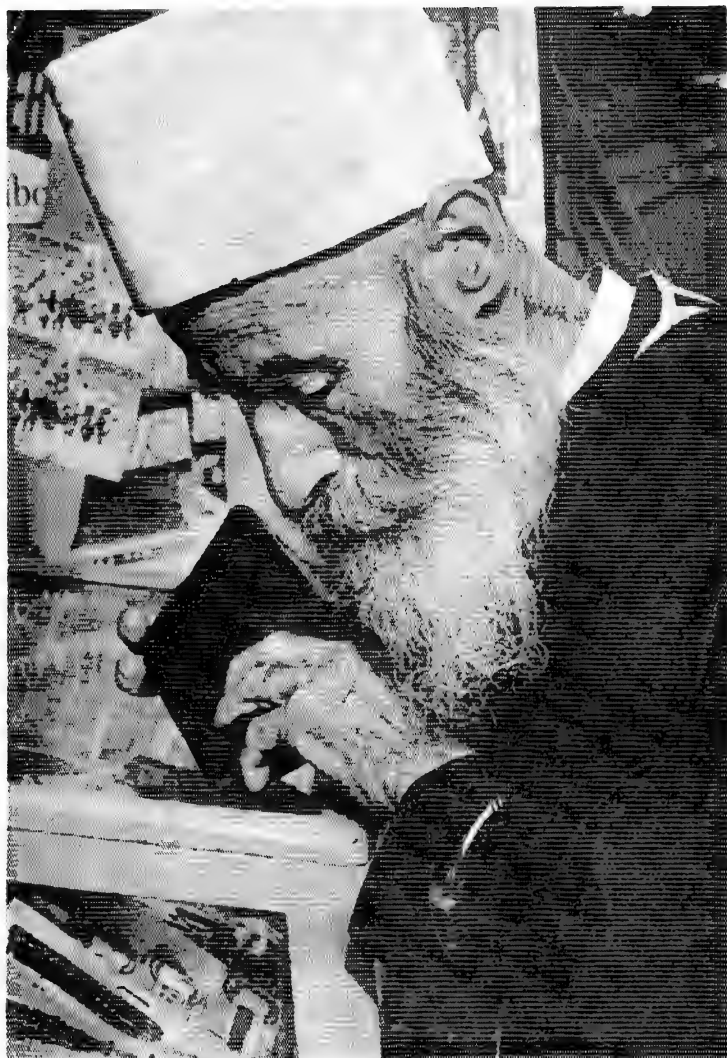
قال القروي: ولشو هالطولة الشرح؟ أهلنا كل عمرهم يقولوا: ألف أجير يسرق ولا شريك يحاسب.

## إن حَزَّتْ المحزوزيَّة كلَّ غَنَزَةٍ بِتِلَاحٍ قَطِيعَةٍ

في القرن الماضي، وما قبله، كان الناس في جبل لبنان منقسمين حزينين متنافسين: اليزبكي والجنبلاطي. وكانوا يسمُّون الحزبيَّة غرضيَّة، فلا يتنازل الرجل عن غرضيَّته مهما كلف الأمر.

ويُروى أن امرأة من الحزب اليزبكي، كانت عائدة من المطحنة، وهي تسوق دابَّة عليها عديلة من الطحين، فزلقت الدابة ووقعت بالعديلة، بحيث اضطرت المرأة إلى أن تفكَّ العديلة عن ظهر الدابة وتنتظر مَنْ يساعدها على إعادة تحميلها.

وقدم قادم، وإذا هو من الحزب الجنبلاطي، فدَوَّقت المرأة وتجاهلته بدافع من غرضيتها. لكن مروءة الرجل أبت عليه أن يتجاهل المرأة في محتتها. فتقدَّم منها - لا سلام ولا كلام - وأمسك العديلة من جانب واحد، وأمسكت المرأة من الجانب الآخر، من دون أن تلامس يده يدها، وتعاونوا على رفع العديلة إلى ظهر الدابَّة.



جهد الجاهل بئابو، وجهد العاقل بكتابو

وعندما وصلت المرأة إلى البيت أخبرت زوجها بما حدث، وقالت انها كانت تفضّل أن تموت على أن تقبل جميل الرجل، ولاسيّما أنها وجدت نفسها، أخيراً مرغمة على تقديم الشكر إليه.

فقال زوجها: إذن حَقُّو وصلّوا!

ثم صعد إلى سطح بيته، حتى أصبح قبالة بيت الرجل، وناداه: يا بو معروف... كل واحد يعمل بأصلو، بس شوف شوف... إن حَزَّتْ المحزوزيّة، كل عنزه بتلحق قطيعها.



## لازم سلامو يسبق كلامو

رجل من حاصبيا صادفته أمام إحدى البنايات في رأس بيروت، حيّاني بلطف وعرفني بنفسه. فسألته ماذا يفعل في ذلك المكان. قال: «مستلم هالبنايه».

ففهمت انه يتولّى حراسة البناية وقلت مجاملاً: «أرجو أن يكون صاحب البناية عارف قيمتك، لأنك من أهل الكرامة».

قال: «يا باطل! انا بو توفيق، وحياة شرفك عالمسك، إن كنت قاعد، وفات صاحب البنايه، إذا سلامو ما سبق كلامو، وحق خلوات البياضه ما بوقفلو، ولو كان راسو لاحق السما».

## لا بيشكرن بجماليك ولا بيرحمك بممائك

عاش في إحدى قرانا رجل من أفاضل الرجال كان عنده ابن وحيد اختلف مع أبناء عم له فاغتالوه فعظم الأمر في عيني الرجل وانطوى على نفسه لا يتكلم ولا يقبل كلاماً من أحد.

وكان أصدقاء الرجل وعارفو فضله يتوافدون يوماً إليه، ويجلسون حواليه متورعين عن الكلام، حتى تجرأ أخيراً أحد الرجال وقال: يقال: لكل مقام كلام، إلا أننا، يعلم الله، لم نجد على ألسنتنا كلاماً في حجم مصيبتك، لذلك مكثنا صامتين. لكننا الآن نسألك أنت الرجل الحكيم الفهيم أن تتكلم.

فاستوى الرجل في مجلسه، واستجمع قواه واستقام، وفتح فاه وقال: سألوها بوزيد:

- شو أطيب الأطايب؟ قال: رجوع الحبايب.  
- قالوا: وشو أغرب الغرايب؟ قال: فقير، ورأيو صايب.

- قالوا: وشو أصعب الصعايب؟ قال: غدر القرايب.

وأضاف الرجل: هذي نص مصييه، بس المصيه، يا  
إخوان، إني خايف مُوت على عجل، بيورثوني قرايبي،  
ومعلومكم مين قرايبي. الخوري عبد الله كان فيلسوف،  
سألوه مرّه: شو أصعب دَعْوِه على مخلوق؟

قال: أصعب دعوه على مخلوق هي: يُورثك عدوك: لا  
بيشكرك بحياتك، ولا بيرحمك بمماتك.

## من صبر ظفر

اشتهر عمي أبو ضاهر بالمرجلة في أيام شبابه، وبالحكمة في أيام شيخوخته، وكان يحدثنا بقصص وأمثال، وكان أقرب أمثاله إلى لسانه، مثل: من صبر ظفر، ومن تأق نال ما تمنى.

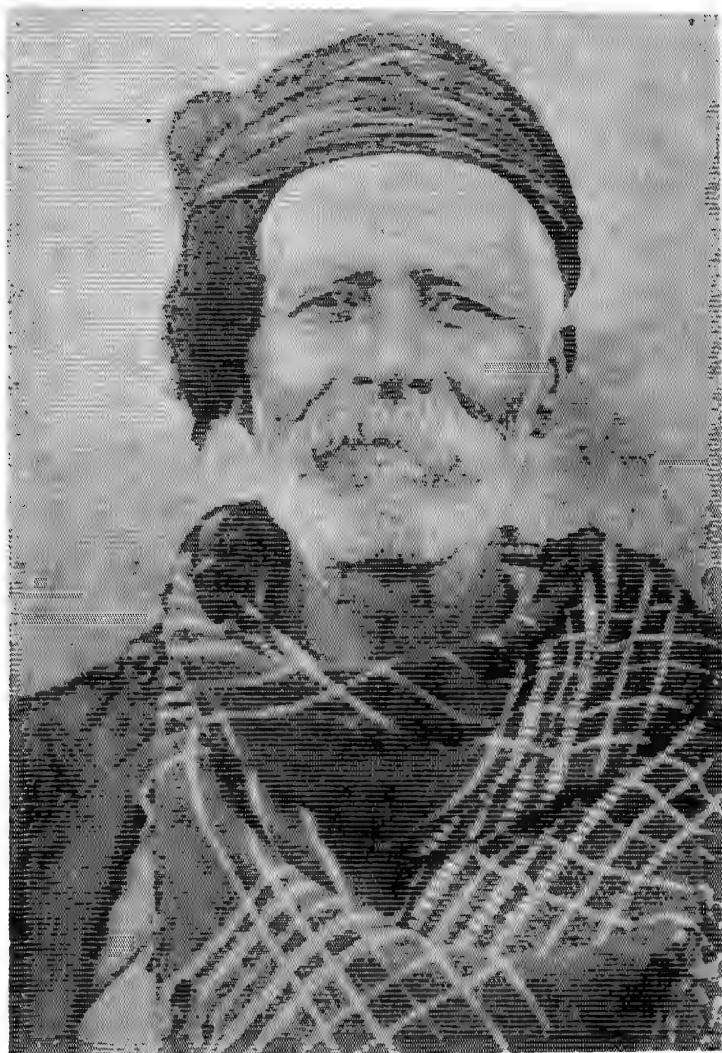
يقول العم أبو ضاهر إن لقمان الحكيم، قصد عنتر عبس، من بلد إلى بلد، وقال له: أنت عنتر أرجل أهل زمانك، فهل بإمكانك أن تعلمني المرحلة؟

فقال له عنتر: ضع إصبعك في فمي، وأنا أضع إصبعي في فمك، وليعض كل واحد منا إصبع الآخر. وهكذا صار، فصرخ لقمان «آخ».

فقال عنتر: لو لم تقل «آخ» لقلت أنا «آخ». هذه هي المرحلة: أن تصبر قليلاً حتى ينفد صبر عدوك.

ثم قال عنتر للقمان الحكيم: وأنت أحكم أهل زمانك، فهل بإمكانك أن تعلمني الحكمة؟

فقال له لقمان: ضع إصبعك في فمي.



جارك الي بتصاحبو لا تقابحو!

فمَدَّ عَنَتْرَ اصْبَعِهِ حَالاً، وَوَضَعَهَا بَدُونِ تَحْفُظَ، فِي فَمِ  
لَقْمَانَ الَّذِي عَضَّهَا بِسُرْعَةٍ، فَصَرَخَ عَنَتْرُ «آخ».

فَقَالَ لَقْمَانُ: لَوْ فَكَّرْتُ قَلِيلاً، قَبْلَ أَنْ تَضَعَ اصْبِعَكَ فِي  
فَمِي، لَأَدْرَكْتُ أَنِّي رُبَّمَا سَأَعُضُّهَا وَأُسَبِّبُ لَكَ أَلْماً وَأُحْجِمْتَ  
عِنْدِي عَنْ وَضْعِهَا فِي فَمِي. هَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ: أَنْ تَنْظُرَ فِي  
عَوَاقِبِ الْأُمُورِ قَبْلَ وَقْعِهَا.

## أَنَا نَبِيٌّ لَوْلَا هَذَا الصَّبِيُّ

نَسَجَ الْعَرَبُ عَدَّةَ خُرَافَاتٍ حَوْلَ شَخْصِيَّةِ لَقْمَانَ الْحَكِيمِ،  
مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ يَجِدُّ مِثْلَ النَّسْرِ شِبَابَهُ، حَتَّى عَاشَ سِتْمَايَةَ سَنَةٍ  
وَكَانَ أَحْكَمَ أَهْلِ زَمَانِهِ، حَتَّى ظَنُّوه نَبِيًّا.

وَمِنَ الْقِصَصِ الْمُنْقُولَةِ عَنْهُ، عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ، وَغَيْرِ  
الْمَكْتُوبَةِ فِي الْكُتُبِ، أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا يَجْلِسُ حَوْلَ النَّارِ، مَعَ بَعْضِ  
جُلَسَائِهِ، فَدَخَلَ صَبِيٌّ وَطَلَبَ جَمْرَةً لِأُمِّهِ لِتَقْوِدَ بِهَا نَارَهَا، فَقَالَ  
لَهُ لَقْمَانُ: أَيُّهَا الْوَلَدُ الْأَحْمَقُ، جِئْتَ تَطْلُبُ جَمْرَةً وَلَمْ تُحْضِرْ  
مَعَكَ وَعَاءً تَنْقُلُهَا فِيهِ؟

فَدَنَا الصَّبِيُّ وَأَخَذَ رَمَاداً بَارِداً مِنْ طَرَفِ الْمَوْقِدِ وَجَعَلَهُ عَلَى  
رَاحَةِ يَدِهِ وَوَضَعَ جَمْرَةً فَوْقَهُ وَمَضَى.

فَحْزَنَ لَقْمَانُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَحْسِبُ نَفْسَهُ أَحْكَمَ أَهْلِ الْأَرْضِ  
وَقَالَ قَوْلُهُ الْمَشْهُورُ: أَنَا نَبِيٌّ لَوْلَا هَذَا الصَّبِيُّ.

## نقد المقدّر

في ذاكرتي أحدى عتيقة تعبق بالأصالة، لكنني نسيْتُ  
أين ومتى وقعت.

قال رجل لابنه: يا ابني، صار لنا زمان ما زَيْتُنا سلاحاتنا  
ما بيسوى بحقنا يصدّوا سلاحاتنا، أنا رايح مع امك  
عاليدر، جيب انت السلاحات وزيتهم.

لم يكد الرجل وزوجته يتعدان قليلاً عن بيتهم، حتى  
سمعا طلقاً، فقال الرجل لزوجته: نقد المقدّر، لا حول ولا  
قوة إلا بالله.

وانتشر بسرعة خبر مصرع الشاب وبدأت الاستعدادات  
للمأتم.

وكان جد الشاب، والد أمّه، شيخاً تقيّاً، شبعان اياماً،  
انصرف إلى التعبّد والتأمّل في مكان، في قرية مجاورة.

وعندما بلغه خبر وفاة حفيده، قصد شيخاً آخر مشهوداً  
له بالحكمة وسداد الرأي، وقال له: يا أخي، علمت الآن

ب وفاة ابن ابنتي، وجئت أستشيرك، هل أحضر أم لا أحضر  
مأتمه.

أجاب الشيخ الآخر: إذا حضرت مأتم حفيدك، ستجد  
نفسك في موقف حزن وتفجع، ومن كان مثلك ومثلي لا يليق  
به أن يحزن. أما إذا كنت تظن أن ابنتك، ربما غلبها الحزن،  
وتصرف في المأتم أمام الناس، تصرفاً غير لائق، عندئذ  
يكون حضورك أفضل من عدم حضورك.

## المسنود يحكي

معاون سائق أوتوبيس، تضايق من كثرة المتدافشين  
للركوب، فرفع عقيرته وصاح: «شوهيدا، البنامين صاروا  
بهايم، ما حدا بيحس، يا عمي الأوتوبيس مليانه، الأتوبيس  
معشره محترق دينها، تعو إركبو عاظهري، إركبو عا...».

وخوفاً من ركوب المركب الخشن وجنا جميعاً، ما عدا  
واحداً من الركاب قال: «بيظهر الأخ مسنود، يا عمي،  
اللي عندو سانود يسندو بيحكي، واللي ما عندو سانود يسندو  
يسد بوزو ويسكت».

فسكتنا جميعاً.



## وساء في الدنيا وفي الآخرة

عقب زلزال سنة ١٩٥٦، دخل رجل من جبل عامل على أميل البستاني - رئيس مصلحة التعمير، يومئذٍ - في مكتبه، وقال:

كان عندي بيت مفرش سِتّ حصر، تصدّع بالزلزال،  
راح المهندس كشف وأعطاني مواد بناء أنجح تعمّر بيت مفرش  
حصيرتين، وداعيك، عندي حريم ثلاث نسوان، على الأقل  
مفرش حصيره لكل حرمه.

فاستلطف البستاني حديث الحصر والحريم، واستدعى  
مهندس المنطقة وأمره أن يضاعف كمية المواد المقررة للرجل.

فقال الرجل: طوّل عمرك، سيدنا، بس مريم وراها  
ولدين، وآمنه وراها أربعة، ونفيسه وراها خمسة، والباقي ع  
الله.

فأمر البستاني بزيادة جديدة أخرى.

فقال الرجل: طوّل عمرك سيدنا، إنت بي الفقير...  
بس وين بروح بأمي وببي ورضاهم علي؟  
فأمر البستاني، مرة أخرى، بزيادة جديدة على مواد  
البناء.

فانشرح خاطر الرجل، وقال: ما تبلى كفوف  
السخايا... كفيّت ووفيت، بس إذا توسّعت سعادتك، معي  
بعد بشي مفرش حصيرتين، بيصير إسمي «الحج حسين»  
وفهمك كفايه... بتكون وسّعتي بالدنيا وبالأخرة.

## عاصير، لا طويل ولا قصير

هكذا، كانت الحصيرة مقياس الطول والعرض، لقياس  
مساحات البيوت، في جبل عامل وبعض أنحاء سوريا  
وفلسطين.

والحصيرة المقصودة في كلامنا هذا، هي الحصيرة التي  
كان أهل الحولة، في فلسطين يحكيونها من نبات «الببير» الذي  
كان ينبت في مستنقعات الحولة، وكانوا يصنعونها بقياس  
واحد محدد - ستاندرد - ويصدّرونها إلى جميع المناطق المجاورة.

فإذا أراد أحد الناس أن يبني بيتاً جديداً، وجب عليه سلفاً، أن يحدد مساحته بالنسبة إلى عدد الحصر المفروض فرشها فيه، بحيث لا تبقى في أرض البيت أية مساحة غير مغطاة، وبحيث لا يضطر إلى قطع أية أجزاء من طول أو عرض بعض الحصر.

ومن هنا أصل القول المأثور: عالحصير، لا طويل ولا قصير.

\* \* \*

في جبل عامل إذا أراد رجل أن يدعو لصديقه بالخير، قال: الله يطعمو دار وسيعه ومرا مطيعه. فإذا كانت عند أحدهم دار وسيعة وأخلاق غير رفيعة، قالوا: وساع في الدنيا وضيق في الآخرة.

## ما في بركة تحت حجر بتخفي

حدّثني الخوري حبيب مراد عن أيام الخير والبركة.  
- مات في قريتنا شيخ جليل فاضل، وأُقيم له مأتم لائق،  
وإذا برجل غريب يتقدّم من بعيد ويصيح: حيف يا فكّاك  
المشاكل... يا جبّار الخواطر... يا ستّار العيوب.

وبعد الجنّاز سلّم والدي على الرجل، ودعاه إلى «لقمة  
رحمة» في بيتنا، وهنالك سأله: قلت ان الفقيد كان فكّاك  
مشاكل، هذا صحيح، وقلت إنه كان جبّار خواطر، هذا  
صحيح، كذلك قلت أيضاً إنه كان ستّار عيوب، فماذا عنيت  
بكلامك هذا؟

قال الرجل: منذ عشرات السنين، في زمن الطيش  
والجهالة، ارتكبتُ حماقة لو انكشف سرّها في حينها، لكانت  
إحدى الفضائح.

وحدث، بالصدفة، أن الفقيد وُجد في ذلك المكان  
ووقف على سرّي وعرف حماقتي، فما كان منه إلا أن بصق

على الأرض وتناول حجراً وضعه فوق البصقة، وأدار ظهره  
ومضى كأنه لم ير ولم يسمع شيئاً.

فاطمآن قلبي، لأن الرجل كان، في ذلك الزمان، إذا  
خبأً بصقته تحت حجر، فكأنه، بهذه الوسيلة، يؤكد أن السر  
الذي اطلع عليه، قد اختفى إلى الأبد، كما اختفت البصقة  
تحت الحجر. هذا كان من تقاليد ذلك الزمان، ومن موثيق  
الشرف عند أصحاب الشرف.

لذلك - يقول الخوري حبيب - إننا ما زلنا نقول، عن  
رجل تعهد بكتمان سر ثم أفشاه انه «لحس بزقتو». كما نردد  
في بعض المناسبات قولنا المأثور: ما في بزقه تحت حجر  
بتختفي.

اللي بيزرق ضدّ الريح  
بترجع بزقتو فاجهو

موظف يتعاطى السياسة، اتخذ رئيسه بحقه تدابير  
زجرية، سمعت موظفاً عتيقاً يلومه، قال: «يا إني، اللي  
بيزق ضدّ الريح، بترجع بزقتو عا وجهو».

## ألف كسرة رَجُل ولا كسرة خَاطِر !

زَلْتُ قَدَمِي فَكَسَرْتُ رَجُلِي . وَقَعْتُ فِي بَيْتِي أَتَقَبَّلُ  
مَأْثُورَاتِ الْكَلَامِ لِمِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ .

فزارني صديق من حاصبيا وأراد أن يهونها عليّ :

- الشيخ هايل أبو سنان كان فارس الفرسان ، مشكور  
منظور مثل الرمح عَ كثاف الرجال ، وقع عن حصانه وكسر  
رجله ، فصعب الأمر عليه وكبرت المصيبة في عينيه .

وفي أحد الأيام فطن إلى أن جميع رجال القرية زاروه  
وأسوه في بلواه ، ما عدا صديقه أبو جابر ، فسأل : وين بو  
جابر ، يا جماعه تخمين مش عارف شو صابني ؟

قالوا : خَلَّيْهَا عَ الله ، بو جابر مالوش عين يواجه الناس ،  
خاطرو مكسور ، بتتو - البعيده - شافوها ، عند نص الليل  
راجعه وحدها من معبور بيت بو شرشور .

فصاح الشيخ هايل : يا حيف ! هذي مصيبه محرزه ، يا

مسكين يا بو جابر عاكسرة خاطرك... يا عمي... ألف  
كسرة إجر ولا كسرة خاطر!

ثم زارني الصديق الدكتور ابراهيم داغر، فرويت له  
القصة، وبعد أسبوع عاد وروى لي أنه سمع نشرة الأخبار  
الرياضية من إذاعة لندن تذيع تفاصيل مباراة في كرة القدم،  
وانه سمع المذيع يقول: وقع اللاعب فلان.. لم يستطع أن  
ينهض... انسحب من اللعب... حمله رفاهه إلى خارج  
الملعب... شوهدت الدموع تنهمر من عينيه.

ثم يعلّق المذيع: فعسى أن يكون بكأؤه من كسر خاطره  
لا من كسر في رجله.

ثم زارني بعد ذلك الأخ «نايف عطرشان» فرويت له  
قصة الشيخ الذي قال: «ألف كسرة رجل ولا كسرة خاطر».  
وقصة المذيع البريطاني الذي تمنّى أن يكون بكاء اللاعب من  
كسر خاطره لا من كسر في رجله.

فقال الأخ نايف: صديقنا الشيخ، خاطره هو أغلى ما  
عنده، واللاعب البريطاني، رجله هي أغلى ما عنده، والمثل  
اللبناني يقول: «قدّ عازتك ليه، إبكى عليه!».

## أَلْفَ زَلَّةٍ قَدَّمَ وَلَا زَلَّةَ لِسَانٍ

كنت نشرت قصة: أَلْفَ كَسْرَةٍ رَجُلٍ وَلَا كَسْرَةٍ خَاطِرٍ،  
في مجلة الحوادث، فجاءني صديق مرجعيوني وذكرني بقصة  
مرجعونية قديمة:

مات وجيه مرجعيوني اشتهر برجاحة عقله، عن ابن  
وحيد لم يرث شيئاً من مزايا أبيه.

وحدث أن حضر الحاج محمد العبد الله معزياً، بحضور  
وجهاء البلدة، فقام ابن الفقيـد يصف الخسارة بفقد والده،  
قال: مات الكَرَّاز وما بقي غير الجِدا.

فقال الحاج محمد لَمَّا كان قربه: صارت المصيبة  
مصيبتين: فَقَدَ السَّلَفَ وسوء الخَلْفَ.

ويعزى إلى الحاج محمد المذكور قوله في إحدى المناسبات:  
أَلْفَ زَلَّةٍ قَدَّمَ وَلَا زَلَّةَ لِسَانٍ.



## بالعربي الفصيح

كنت يوماً أزور أحد الأصدقاء، فدخل رجل وقال:  
سلمت مطعمي إلى ابني، كي يديره مع زوجته، كان مدخول  
المطعم مئة ليرة يومياً، صار عشر ليرات، شو قولك يا بو  
أمين، الناس بطلوا ياكلوا؟

أجاب أبو أمين: وَلَكْ لَأْ، الناس ما بطلوش ياكلوا، بس  
«بالعربي الفصيح» إبنك قلعوط ومرتو مشبشله، وكيف بدهم  
يعرفوا يتيسسروا؟

فقال أحد الحاضرين: إذا كان هذا الكلام «عربي  
فصيح» كيف بيكون «الحكي المشبرح»؟

فقطنت عندئذٍ إلى أن هنالك نوعين من الكلام عند  
العامة: العربي الفصيح والحكي المشبرح.

يقول أحد المجتهدين في حضارة العامة، إن عبارة  
«بالعربي الفصيح» لا تعني مطلقاً، عند العامة أن الكلام هو  
باللغة الفصحى، بل كل ما تعني أن المتكلم يريد أن يقول  
الحقيقة.

ذلك لأن عبارة «بالعربي الفصيح» تذكّر الرجل العامي بـ«حلفان اليمين» في المحكمة، حيث يطلب القاضي من الشاهد أن يردد وراءه باللغة الفصحى، القسم التقليدي: أقسم بالله العظيم أن أقول الحقيقة، بدون زيادة أو نقصان.

لذلك عندما يجد الرجل العامي، نفسه، مضطراً إلى أن يقول الحقيقة، مهما كلف الأمر، يقول: بالعربي الفصيح، الحقيقة هي كذا... كأنه يقسم بالله العظيم على صحة كلامه، ولذلك قيل: الكذب بالدارج والصدق بالفصيح.

## كلّ بحواش الوُمحواش

أما «الحكي المشبرح» فمعناه إلقاء الكلام على عواهنه، فيتكلم الرجل كلاماً غير مسؤول، دون أي تقدير للعواقب.

سمعت رجلاً يحاول إقناع امرأة، تزويج ابنتها بشاب، قال الرجل عنه: ابن حلال، كافي الناس خيرو وشرّو. فاحتدمت المرأة وقالت: إبن بو دكاديك مش من مجاوزنا، يروح يدور عا ناس من وقمو... بالمشبرح: كل بحواش إلو محواش، مثل ما قال المثل.

ثم استدركت المرأة، وقالت: بلا معنى، يا حج مسعود!

وهكذا جرّنا الحديث إلى نوع آخر من الكلام، هو الكلام «بلا معنى». فكل كلمة يمكن أن ترمز إلى عضو الذكر عند الرجل أو عضو التأنيث عند المرأة أو إلى عملية الجنس، يجب أن يقال بعدها: «بلا معنى»، أي أن المتكلم لا يعني ما قد يخطر في بال السامع.

و«البحواش» في لغة العامة، هو الثقب، أما «المحواش»

فهو عصا طويلة وغليلة تمكش بها النار، فإذا أرادت إحدى النساء أن تصف شيئاً طويلاً وغليلةً، قالت: مثل المحواش، بلا معنى.

## لولا الكاسورة ما عمّرت الفاخورة

في سهرة ضمت بعض التجار والصناعيين، دار الحديث حول إنتاج السلع الاستهلاكية، وجرى نقاش حول ما هو أفضل لمصلحة الاقتصاد العام: جودة في الإنتاج وارتفاع في الأسعار، أم إنتاج رخيص قليل الضيان.

وعندما طال الجدل، استأذنت عجوز كانت تصغي إلى الحديث وقالت: نسيتموا شو قال المثل: لولا الكاسورة ما عمّرت الفاخورة.

## التغميس بَرَاة الصَّحُون

كما في أدب الخاصة رموز وكنيات واستعارات وتشابيه وتوريات وغيرها، كذلك في أدب العامة أنواع كثيرة من الكلام.

فإلى العربي الفصيح - غير الفصيح - وإلى الحكي المشبرح، وإلى الكلام الذي له معنى، بلا معنى، هنالك:

التغميس بَرَاة الصَّحُون، وتغطية السموات بالقبوات، وتهيط الحيطان، وتلطيش المسلات، وضرب المسامير. وهنالك اللقلقة وتمسيح الجوخ وتمشيط الدقون، ناهيك بالضحك على الدقون.

وأمثال العامة على أنواع الحكي كثيرة:

مجنون يحكي وعافل يفهم. إقعد أعوج وإحكي جالس.  
إسمعي يا جارة وإفهمي يا كنه. كلمه بَت ولا عَشْره لَت.  
حكي بيحنن وحكي بيجنن.

وهناك أنواع من الحكيم يعبر عنها العامة بالقال والقليل.  
ولكل نوع منها مَثَل أو أمثال.

قالوا: شو أحلى من العسل؟ قال: الخَلَّ بلاش.

قالولو: صبحك بالخير يا أقرع. قال: هذا مفتاح باب الشر.

قالولو: الكردي نط الحيط. قال: هذا الكردي وهذا الحيط.

قالولو: يا فرعون مين فرعنك؟ قال: تفرعنت وما حدا ردني.

قالوا للنوري: ليش لابس هالتياب؟ قال: منو من القلّه ومنو من نهوشة الكلاب.

قالوا للديك: صيحه! قال: كل شي بوقتو مليح.  
وغير ذلك.

## ناب الكلب بجلد الخنزير

في عودتي إلى بيتي حانوتي استوطى حيطي، كلما عبرت  
أمامه، بادرني بخبرية، أو تبرع لي بنصيحة أو عركجني  
بسؤال:

- يا أستاذ، وصل الثلج عالكحاله؟.

- يا أستاذ، جنس النساء قهار!

- يا أستاذ، شو عندك وصفه لوجع العقل؟

أمس قوطب عليّ باستجواب: «يا أستاذ، شوفي ما في؟»  
قلت: «علقت الحرب بين الترو والبربر».

فتلفت حواليه، وقال بصوت منخفض: «يا عمي! هذي  
الإنكليز، لا بتستريح ولا بتخليّ حدا يستريح، بتعلق ناب  
الكلب بجلد الخنزير، وبتقعد تتفرّج، يا بينقلع ناب الكلب،  
يما بينقرط جلد الخنزير».

## صار اللي صار...

من أجل ما كان يقصه علينا المرحوم كامل أبو نصار أن رجلاً من كرام القوم، سقطت من يده حاجة، بالقرب من حمار مربوط، فهم الرجل بالتقاط حاجته، فرفسه الحمار في صدغه، فمات الرجل في الحال.

وكان الرجل سيّداً في عشيرته، زعيماً في عائلته، وشق على أبنائه أن تصرع أباهم رفسة حمار، وهو راعي الحصان وفارس الفرسان، وفي ذلك عار كل العار فذهلوا ووجهوا لا يعرفون ماذا يفعلون.

لكن الخبر ما لبث أن شاع، فأقبل رجال القرية، ووقفوا خارجاً متهيين. فلكل مقام مقال، أما هذه المصيبة، فلم يكن عندهم فيها ما يقال.

أخيراً حسم الموقف أحد أصحاب الرأي، قال: «يا إخوان، ما صار شي إلا صار أعظم منو... صار اللي صار، وما هو معيار... فوتوا ناخذ بالخاطر».



## مش رمانه قلوب مليانه

هنالك نوع من الكلام، هو «التخييص بالوحل».

حدثني صديق قال: رحنا نسهر عند الخوري، حتى نسمعنا كلمتين نظاف، صارت الخورية تحبص بالوحل، قمنا فلينا.

فقبضتُ على الرجل وطلبت منه أن يذكر لي كيف يكون التخييص بالوحل، قال:

- بلش أبونا حنا يحكيلنا عن أيام زمان - قبل ما صار محترم - كيف هرب مع أبو نمر، بأيام «سَفَر بَرْلِك» من «بير سبع». قامت الخوريه وقاطعت الخوري وقالت: على سيرة بو نمر... بو نمر عامل حالو رجال، ليش ما بيلحق حالو وبيجوز بنتو، شو بعدو ناظر، البنت: يا سترتها يا جورتها.

وأضاف محدثي: بس هذي مش رمانه، هذي قلوب مليانه.

واستطرد: مسكين أبونا الخوري ما ييمون على أهل بيتو،

خَوَّلَفَ عاَلْخوَرِيَه وَقَالَ: بَنَتْ بُو ثَمْرَ حَلَوَه وَعَاقَلَه وَبَتَسْتَاهِلْ  
أَحْسَنَ عَرِيْسَ بِالضَّيْعَه. فَوَقَفْتُ وَقُلْتُ: يَا أَبُونَا هَذَا «تَغْيِيرُ  
شَنْكَاش»، الْكَلِمَه بَغْيَرُ مَحَلَّهَا إِنْ مَا قَتَلْتَ عَلَّمْتُ.

## قَوْلَةُ يَا خَوْرِيَّ وَلَا كَيْسَ خَمْسَمِيَّةَ

فِي حَدِيثٍ عَنْ أَحَدِ الْمُرْشَحِينَ لِلْنِّيَابَةِ، قِيلَ إِنْ زَوْجَتَهُ  
بَاعَتْ جَمِيعَ جَوَاهِرِهَا وَحَلِيِّهَا وَصَرَفَتْ ثَمَنَهَا فِي الْمَعْرَكَةِ  
الْإِنْتِخَابِيَّةِ عَلَى أَمَلٍ أَنْ يَصِيرَ زَوْجُهَا نَائِبًا، فَيَقَالُ لَهَا: «يَا مَرَّةَ  
النَّايِبِ».

فَعَلَّقَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ: صَدَقَ قَوْلُ الْمَثَلِ: قَوْلَةُ «يَا  
خَوْرِيَّ» وَلَا كَيْسَ خَمْسَمِيَّةَ.

## حِكْمِي أَصُولِي وَحِكْمِي غَيْرُ أَصُولِي

أبو شاعر شقبان، من أسياد الكلمة، تترقق العبارات على لسانه عفو الخاطر، بدون عناء أو تكلف.

بلغني أنه قبض على لص في بيته. قلت: يجب أن أفقده بزيارة وأستمع إليه يروي واقعة الحال.

وتخيلته سلفاً يصف لي كيف صرخ باللص، فجمد الدم في عروقه، وكيف أمسكه برقبته ليذبحه، ثم عَفَّ وعفى عنه، عندما تذكر المثل القائل: العفو عند المقدرة.

وبعد السلام، وقبل أن يستقر بي المقام، بدأت «فرنسواز» كنة أبو شاعر الكلام، قالت: لو بتعرف شو صار، كنا نأيمين، سمعنا صوت...

فسألتها: صوت مشي يما حكي؟

قالت: لا مشي ولا حكي... هيك صوت مدري كيف.

فَهَمَدَر أبو شاعر وَقَوَدَم على كُنته وقال: معلومك، كُنتنا

بنت مدارس، ما بتفهم تحكي حكي أصولي.

وتولّى أبو شاكر عندئذٍ، الكلام بطريقةً أصولية، قال:  
كنت نايم، سمعت خربشه، ما انوهزت... بعد شوي  
سمعت حرتقه بالباب، عطيت أذني... غَرَش. قمت  
تنوقست من قدح الباب وقوشعت من الطاقه، ما في حدا...  
رجعت نمت. ما غَطَّت عيني، حتى سمعت دحقره بالمطبخ،  
سحبت الفرد من تحت المخدّه وقمت...

فقاطعته: والمحروس شاكر، شو عمل؟

أجاب: شاكر مثل حرمتو، عظمو طري، وعقلاتو غيره،  
ما بيعرف الحرتقه من الدحقره ولا الخربشه من الطحبشه،  
بدّك يقوم يعفش الحرامي عارقبتو مثل عتايعت الرجال؟.

كلّ دَعْسِ بَطْمَسِ

رجل من جنوب لبنان، وجدته يقف شارد الفكر، أمام  
باب أحد الزعماء، فسألته: «شو في ما في؟» قال: «نحننا،  
بهالأيام، مثل مداس الأعمى: كل دَعْسِ بَطْمَسِ».

## بَدَنٌ نَأْكُلُ عَنِيبَ يَمَّا بَدَنٌ تَقْضِلُ النَّاطُورَ؟

خلال سنة ١٩٧٣ وقعت عدّة اضطرابات طلابية في بيروت، تخللتها مظاهرات واشتباكات وأعمال عنف، وحدث، عند مرور إحدى هذه المظاهرات في كورنيش المزرعة، أني كنت أحلق ذقني عند حلاق في تلك المحلة، فدخل أحد أساتذة الجامعة اللبنانية وجلس جانباً.

ثم تدخلت قوى الأمن لتفريق المظاهرة، فتغفّر الطلاب، ولأذت شرذمة منهم بدكان الحلاق، فنشأ بين الطلاب وبين الأستاذ جدال بطبيعة الحال، حول مطالب الطلاب.

واحتدم النقاش والقبل والقال، فخشيت أن يلحق أخانا الحلاق طرف انفعال، وتمسرت بين يديه، لا أتخلفص ولا أنفّس، لئلا يتحمّس لجواب أو سؤال، فيشطر أنفي أو يثلم شفتي أو يشطب زراديم رقبي، فأكون أنا الخاسر الوحيد في حلبة النزال، ورحم الله ابن الفارض حين قال:

ما بين معترك الأحداق والمهج  
أنا القَتِيلُ بلا إثم ولا حَرَجٍ

لكن أخونا الحلاق لم يظهر عليه أي تأثير، ولم يتخذ  
لنفسه موقفاً، ولم يتدخل بكلمة ولا بحركة ولا بإشارة، وكأن  
شيئاً لم يكن.

فقلت في نفسي، هذا أول حلاق أعرفه في حياتي، لا  
ينفعل للسياسة ولا يوزع آراءه على عباد الله، ولا يتبرع  
لزبائنه بنصائحه لوجه الله. وخطر في بالي أن أدون هذه  
الظاهرة الغريبة في مذكراتي.

غير أن الطلاب ما لبثوا أن انصرفوا. فالتفت الحلاق  
صوب الأستاذ، بعد أن قبض بعنف على كتفي بيسراه وجهد  
موساه فوق رقبتني بيميناه - فجمد الدم في عروقي - وقال: يا  
أستاذ! إذا كنت مش فهمان نحنا منفهمك، التلاميذ مابدهم  
ياكلوا عنب بدهم يقتلوا الناطور، حط عقلك براسك بتعرف  
خلاصك.

إن شِكرتم لأزيد شِكرهم

زعيم جنوبي راحل، يُنسب إليه قوله: «الزلمي، ببلادنا،  
إطعمو أكله بينكرك، إطعمو قتله بيشكرك!».

## المعربس قصُّو ولو نقص نصُّو

في إحدى السهرات، كانت إحدى السيدات تحاول تسريح شلّة صوف معرّبة، فتدخل رأس الخيط من مكان وتخرجه من مكان، دون جدوى. وكانت تتمرمر وتمرمر خواطر الحاضرين.

أخيراً، قال لها رجل، بجد ورزاقنة: يا ست، المثل يقول: المعربس قصُّو ولو نقص نصُّو. فتناولت السيدة مقصّها وقصت الجزء المعربس، وانتهى الأمر.

وكنّت أجلس قرب الرجل فسألته: من أين أتيتنا الآن بهذا المثل الجميل الذي لم أسمع أنا به من قبل؟.

أجاب: أنا اخترعته الآن، إذ لم يكن من المجدي أن أقدم أي مشورة أو نصح إلى هذه السيدة دون نقاش وأخذ وردّ، أما المثل فلا سبيل إلى مناقشته، لذلك نسبت كلامي إلى المثل، فاستجابت السيدة وارتاحت وأراحت.

وفي نطاق تقصّياتي عن خبايا أدب العامة في لبنان،



اللي بتضیع راس الشموط، شويدها بكار الحياكه



وجدت أن للمثل، عند العامة، قوة توازي أحياناً، أقوال بعض الأنبياء والفلاسفة وعظماء الرجال. ولذلك يقول العامة: المثل نبي ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ - الآية الكريمة، سورة إبراهيم.

## التي طيلع الحمار عالميذنه بينيزلو

خلال أحداث سنة ١٩٧٦ حدث أتي كنت يوماً أفق أمام باب الفرن، بالصف، أنتظر دوري لشراء كيلو خبز، فتحلحل رجل كان يقف أمامي والتفت وسأل رجلاً كان ورائي: وبعدين شو بدو يصير يا حج؟.

فتنحج الذي كان ورائي وقال: الي طيلع الحمار عالميذنه بينيزلو.

## إن فرغت جيوبو ، كثر عيوبو

تقول أم جبران إن الكرم ستار العيوب، وهي تعزز رأيها بقصة امرأة تزوجت رجلاً غنياً فيه عيوب كثيرة، لكنه كان كريماً كلما غاب جاب، فلا تلتفت المرأة إلى وجهه، بل إلى يديه المحملتين بالهدايا.

ثم تحوّل زمان الأول، وافتقر الرجل وصار يعود إلى بيته خالي اليدين، فأخذت المرأة تكتشف كل يوم علة جديدة في زوجها:

- أصلع أكتع، أفكح أشطح، أنقر أزور، أعوص أجوص، أخلق أبلق، مكشّن مطشّن، مقطوع حيلو مثل البسين بآخر شباط.

وتضيف أم جبران: «الزلي إن فرغت جيوبو، كثر عيوبو».

## مقام المثل في الكلام منك النخام

مع أننا نعرف، غالباً، مَنْ هو صاحب هذا القول المأثور، وَمَنْ نظم ذاك البيت من الشعر، في مدى قرون من الزمن، مثلاً، إلا أننا نجهل أسماء الرجال - الجنود المجهولين - أصحاب الأمثال العامة، المتواترة على ألسنة الناس من جيل إلى جيل.

ويغلب الظن أن أصحاب الأمثال، هؤلاء، هم من عامة الناس، لا من العلماء والفلاسفة وصانعي التاريخ. إذ لو كان هؤلاء هم أصحاب الأمثال، لكانوا خلدوا أسماءهم مع أمثالهم. أما العامة من الناس فليس تخليد أسمائهم من هواياتهم.

ولا ريب أن أمثالاً كثيرة، دارت على شفاه الناس، اختفى بعضها، وعاش البعض على مدى الدهر، لأنه كان نتيجة تجارب واختبارات وهموم واهتمامات، في حياة الناس، طوال سنوات حتى صار المثل مادة حية متجددة خالدة في حياة المجتمعات البشرية المتعاقبة.

أما مقام المثل في الكلام، فهو دائماً مسك الختام، إنه الحجر الأخير في بنيان الحديث، بواسطته يغلق المتكلم مدامك الكلام.

## اختلف البحر والريح طلعت الفلّة عالمركب

خلال أحداث لبنان الدامية، سنة ١٩٥٨، كانت راشيا الفخار مسرحاً لعدة عمليات عنف.

وعندما انتهت الأحداث حضر القائد العقيد جميل الحسامي وأجرى صلحاً بين أبناء القرية، وألقى فيهم كلمة قال فيها إن زعماء لبنان اختلفوا في ما بينهم، لكنهم «والحمد لله» عادوا واتفقوا على مبدأ «لا غالب ولا مغلوب».

فقاطعه الخوري حبيب البديوي، كاهن القرية، وقال: اختلفوا واتفقوا ونحن دفعنا الثمن، وصح فينا قول المثل: اختلف البحر والريح، طلعت الفلّة عالمركب.

## بمشي الحيط الحيط...

كانت مديرية الدفاع المدني أجرت دورة تدريبية عام ١٩٦١، ضمت موظفاً من كل إدارة حكومية، وذلك من أجل تدريب الموظفين، نظرياً وعملياً على وسائل الدفاع المدني.

وكنت أنا في عداد هؤلاء المتدربين مندوباً عن المصلحة الوطنية للتعمير، في الدورة، وكان المحاضرون نخبة من ضباط الجيش اللبناني.

وحدث يوماً أن أحد كبار الضباط - ربما العقيد جميل شهاب على ما أذكر - كان يلقي علينا درساً في موضوع القصف المدفعي، وفي ما هي مسؤولياتنا الدفاعية عندئذٍ تجاه المواطنين، كالإغاثة والإسعاف وغير ذلك.

ولاحظ العقيد المحاضر أن أحد المتدربين، وهو طبيب معروف في وزارة الصحة - على ما أظن - غير متتبه إلى كلامه، لأنه لا يقبض المسألة جدّياً.

فناداه باسمه وسأله: ماذا تفعل، إذن، يا دكتور، إذا كنت ماشياً في الطريق وحدث قصف مفاجئ؟.

فارتبك الدكتور قليلاً، ثم استدرك وقال: بَعْمَلْ مثل ما قال المثل: بمشي الحيط الحيط ويقول يا ربي توصلني عالبيت.

## لكل مناسبة مثل

في إحدى سهرات الشتاء، في القرية، دار نقاش حول ما هو أصعب على الولد، أن تموت أمه فيتزوج أبوه أم أن يموت أبوه فتتزوج أمه.

فقال أحد الحاضرين إن أصعب شيء على الولد أن يموت أبوه وتتزوج أمه، فينشأ الولد ذليلاً، لأن العم زوج الأم لا يهتم بتربية أولاد زوجته، والمثل يقول: الحاجه الي ما بتهمك وصي فيها زوج أمك.

فانبرى له رجل آخر قال: لا، لا، يا بو سعيد، ما في يتيم إلا يتيم الأم والمثل بيقول: جناح الأم بيلم وجناح الأب طيار.

## تاجر القوت ممقوت

عندما بدأت أكتشف ما أسمىه «أدب العجائز»، وهو من أعرق أنواع الأدب وأصدقها عند العامة في لبنان، نشأت بيني وبين بعض العجائز علاقات ودّ واحترام.

وحدث لقاء لنا ذات مساء عند أحد الأصدقاء، ودار الحديث حول أزمة السكر، فحمل بعض الحاضرين على التجار، بينما تحامل آخرون على الحكومة.

وكانت إحدى العجائز تجلس جانباً، لا تبدي ولا تعيد، فدنوتُ منها وسألتها رأيها، قالت: المثل بيقول: «تاجر القوت ممقوت»، وأضافت أن التاجر لا يفهم غير مصلحته ولا يحب غير نفسه، ولذلك كان أهلنا يقولون: «إذا غليت الحبة بطلت المحبة».

## عندما تحلفست الأرض

عقيب زلزال ١٩٥٦، رافقت إميل البستاني، رئيس مصلحة التعمير، يومئذٍ، في جولة على المناطق المتضررة.

هناك التقينا مئات الأشخاص، كل واحد روى أو حاول أن يروي لنا، كيف شعر بالزلزال، وماذا قال أو فعل.

لاحظنا أن الكلام عن تأثير الزلزال، في نفوس الناس، زاد كثيراً عن تأثيره في تدمير منازلهم.

لذلك صرّح البستاني، في حديث له، مع رجال الصحافة، أن الزلزال هدم أو صدّع زهاء عشرة آلاف بيت، لكنه دمر أعصاب أكثر من خمسين ألف رجل وامرأة.

في إحدى قرى منطقة جزين، انتصب أمانا رجل وقال:  
كنت نائم مع عيلتي، ما شعرت إلاّ الأرض تحلفست  
تحتنا... نجّينا يا رب!... فتحت عيوني ما شفت غير  
حجارة البيت تفلفست، نشبت، جوجلت ولادي  
وهشلت...



فالتفت إليّ البستاني مستحسناً، لكن الرجل ظنه  
مستهجنًا، فانبرى متكلمًا في الفصحى، قال: بالحقيقة يا أستاذ  
أنه وقع شيئاً لم وقع له مثيلاً...

فانتهره خوري الضيعة: بيكفي! نزعته يا حج نhra.

كان إميل البستاني، طاب ذكره، يستطيب مذاق الكلمة،  
ويستمرىء جمال العبارة، فطلب مني، في طريق العودة، أن  
أعيد على مسمعه كلمات الحج نhra، فقلت: الأرض  
تحلفصت، وحجارة البيت تفلفصت، نشب الرجل وجوجل  
أولاده وهشل.

فقال البستاني: في مقدوري أن أتصوّر كيف تحلفصت  
الأرض وكيف تفلفصت حجارة البيت، وكيف نشب الرجل  
بسرعة ولكن يصعب عليّ أن أتخيّل كيف وجوجل أولاده  
وهشل.

ثم أضاف البستاني: وما يؤسف له حقاً أن هذه الثروة  
من الكلمات العامية الأصيلة التي تتحلّى بها الشخصية الريفية  
في لبنان، ستختفي قريباً عن شفاه الناس، إلى الأبد.



كلِّ عِلِّهِ دَوَاهَا الصَّبْرُ. إِلَّا قَلِيلَهُ الصَّبْرُ مَا إِلَهَا دَوَا

القسم الرابع

اصطلاحات الكلام عند العامة



## صنع بعقاييد

إذا سألنا إحدى السيدات، عما إذا كانت تُتقن صنع الكشك مثلاً، أو القاورما، قالت: «وَلَوْ، شو هي صنعه بعقاييد؟» «الصنعة بعقاييد» إذن هي صناعة معينة تحتاج إلى مهارة فائقة.

صديق خبير بالسجاد يقول إن: «الصنعة بعقاييد» هي صناعة السجاد العجمي، ويكمن سرّ هذه الصناعة في تعقيد الخيطان بطريقة فنيّة تضمن حياة السجادة إلى أمد طويل.

## اصطلاحات الكلام

على ألسنة اللبنانيين إصطلاحات في الكلام يفهمها عامة الناس حسب مضامينها المتعارف عليها في الحديث، لا حسب معاني كلماتها.

ولا بدّ أن تكون لهذه الاصطلاحات قصص أو أصول أو أساطير أو جذور فكريّة في مجتمعاتنا القديمة أو في مجتمعات أخرى.

وقد اكتشفت خلال بحثي عن مآثورات الكلام عند العامة أن قصص بعض الاصطلاحات كانت لا تزال تعيش في خيال بعض المعمرين، واستطعت أن أقطفها عن شفاههم قبل أن تذوي معهم في غياهب القبور.

ومن يقرأ كتابي الأول «لثلاً تضيع» وكتابي الثاني «في الزوايا خبايا» يجد قصص بعض هذه الاصطلاحات، التي جرت مجرى الأمثال، مثل: «اللي بيدري بيدري واللي ما بيدري بيقول كف عدس»، و«النذر للدير» و«المسك» على سماعان» و«بق البحصه يا انطون» و«خّنا الباشا باشا تاري

الباشا زلمي»، و«كرمال عين تكرم مرجعيون»، وغير ذلك.

وفي حديث تلفزيوني لي عن أدب العامة، ناشدت هواة انتيكا القصص الشعبية أن يوافوني بما عندهم، فاتصل بي كثيرون وزودوني بقصص كثيرة تكشف النقاب عن أصول بعض الاصطلاحات، أنشرها في كتابي هذا.

لكن بقيت هنالك إصطلاحات كثيرة لم يكشف النقاب عنها حتى الآن.

فإذا تكلمنا عن رجل معتدّ بنفسه، قلنا: ضارب حالو بحجر كبير.

وإذا كان من الصعب محاسبته على جرم ارتكبه، قلنا: ذنبو عاجنبو.

وإذا كان سريع الخاطر، قلنا: جوابو تحت باطو.  
وإذا نجا من جماعة أرادوا به شراً، قلنا: طلع منهم شرد مرّد.

وإذا طلب ما لا يُستطاع، قلنا: طويله عا رقتو.  
وإذا تطرّف في كلامه، قلنا: تحتّتها.  
وإذا راوغ واحتال، قلنا: بدو يعمل بالشكر بكر.  
وإذا تواقع وتجاوز حدود الأدب، قلنا: طق شرش الحيا.  
وإذا كان كلامه من نوع الثرثرة، قلنا: هذا طق حنك.  
وإذا تلقى عرضاً مغرياً، قلنا: يضحك بعبو.

وإذا انطلت عليه حيلة، قلنا: عَدَى السبب بطرف  
اليهودي.  
وإذا سبق أحدنا إلى رأي، قال له: عمرك أطول من  
عمري.  
وإذا أراد أحدنا أن يناصبه العدا، قال له: إجاك مين  
يعرفك يا بلوط.  
وإذا رأيناه مع جماعة من عشرين السوء، قلنا: عاشكلو  
شكشكلو.  
وإذا عجز عن مجارة أحد المحتالين، قلنا: ما قدر يقطع  
خيطان معو.  
وإذا أراد أن يساومنا في موضوع، قلنا: عدس بترابو  
وكل شي بحسابو.  
وإذا عمل عملاً وانكره، قلنا: أنكر الحنّا وإثرها.  
وإذا أردنا أن نقطع علاقتنا معه، قلنا: يا أهل كفرحونا،  
لا تاخذوا منا ولا تعطونا.  
وإذا كان مشبوهاً قلنا: صوفتو حمرا.  
وإذا عرض علينا خدمة، قلنا له: إيدنا بزّنارك.  
وإذا جلب المتاعب على نفسه، قلنا: جاب الدب  
لكرمو.  
وإذا اطمأنّ إلى خبر ما، قلنا: فلّش جلدو عا بدنو.



وإذا كان مشاكساً، قلنا: بيلاطس خيالو.  
وإذا لازم رجلاً مثله، قلنا: علي وزويك وزويك وعلي.  
وإذا تكلمنا عن رجل آخر مثله، قلنا: شرحو.  
وإذا كان له أخ أنحس منه، قلنا: شهاب الدين أ. . ط  
من أخيه.  
وإذا ارتكب حماقة وحاول أن يجد تبريراً لها، قلنا: بدّو  
يطلع بخيال إصبعو. وغير ذلك.

## أهل الحِلِّ والرَّبط

في أيام حدائتي كان يعيش في قرية مجاورة لقريتي شيخ صاحب طريقة إذا تحدّث الناس عنه قالوا إنه «يحلّ ويربط»، لأنه كان يحلّ الرصد ويربط القرينة ويطرد التابعة ويحجب صيبة العين وغير ذلك.

وحدث أن شاباً ترك ابنة عمه وخطب فتاة أخرى، فقصدت ابنة عمه الشيخ المذكور الذي أخذ خيط صوف ربطه وعقده عدة عقاقيد، فتعقّد الشاب ولم يستطع أن يقوم بواجبه نحو زوجته، ليلة عرسه. قيل إن ذوي الشاب اشتلقوا واستعطفوا الشيخ، فحلّ عقدة الخيط، فانحلت عقدة الشاب.

وحكي أن رجلاً أبغض زوجته وخشيت أن يطلقها، فأخذت شعرة من رأس زوجها وشعرة من رأسها إلى الشيخ الذي ربط الشعرتين، فارتبط الرجل برباط محبة زوجته.

وكانت تعيش في قريتي امرأة اسمها «بدرا» كانت تربط لسان الوحش، فإذا فقد أحد القرويين عجله مثلاً، ولم يجده

حتى المساء، لجأ إلى بدرا التي كانت تأخذ مقصاً وتمسحه  
بزيت زيتون وتسمي عليه، أي تذكر اسم الله، ثم تربط  
المقص بخيط صوف وتتلو التعويذة التالية:

- بجاه سيدنا سليمان وملوك الأنس والجان يربط كل  
لسان، من سَوَّ ومن عَوَّ من إسَّا لطلوع الضو.

هكذا تربط ألسنة السَّوَّ أي السوء، وألسنة العَوَّ أي  
الوحوش حتى الصباح، لا تقدر أن تفتح أفواهها لافتراس  
العجل المفقود طوال ذلك الليل، فإذا أقبل الصباح فتحت  
«بدرا» المقص فتنتفح أفواه الوحوش.

أولئك كانوا «أصحاب الحل والربط»<sup>(١)</sup> ومع مرور الزمن  
انقرضوا وحلَّ محلهم بعض الزعماء يحلون ويربطون في شؤون  
السياسة، فصاروا «أصحاب الحل والربط» في هذا الزمان.

---

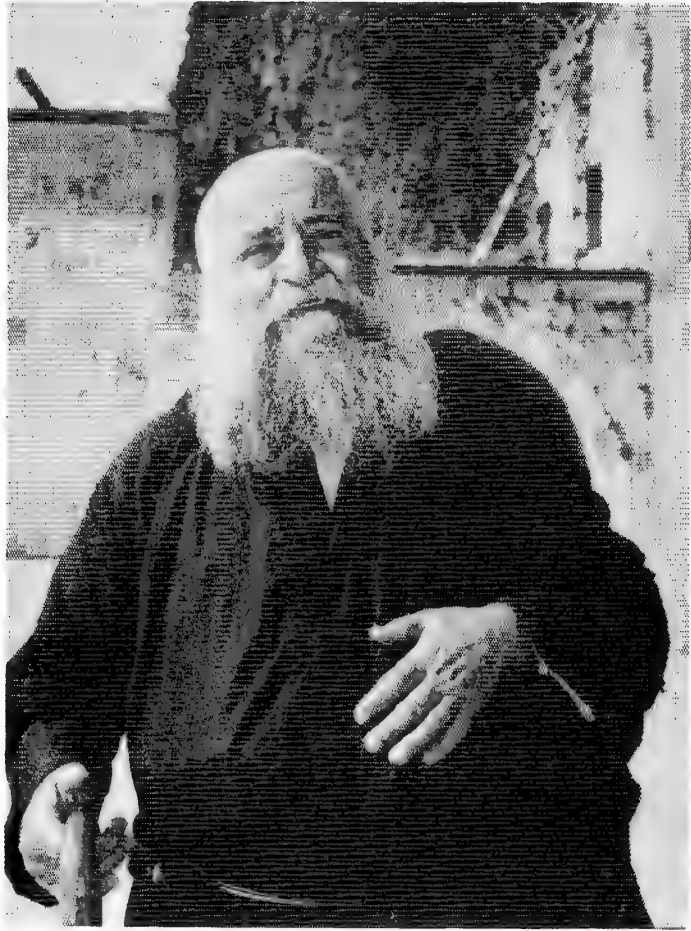
(١) توجد اسطورة طريفة عن «أصحاب الحل والربط» منشورة في كتابي  
«الناس بالناس».

## مكسر عصا

صديق عتيق من جبل عامل يقول إن الرجل كان إذا غضب على زوجته تناول عصاه وهزّها في وجهها، وكان أحياناً يهتّ ولا يضرب، فإذا حمي غضبه ضرب جرّة الماء بعصاه فكسرها. بهذه الطريقة كان يفش خلقه، يكسر الجرّة فيكسر الشر.

من هنا بدأنا نقول، إذا أراد أحد الناس أن يستبدّ بنا: «بدّو يعملنا مكسر عصا!» أي مثل الجرّة - فشّة خلق - يكسرها الرجل ولا ذنب لها.

ثم صرنا نعتبر انكسار الجرّة أو إحدى الأواني في البيت فالأً حسناً، فنقول إذا وقعت الكأس، مثلاً وانكسرت: «انكسر الشر».



أسس بيتك عالصخر بيثبت للدهر

## من اشتغل عندي وأخذ كراه لا هو شريكى، ولا أنا مولاه

في مطلع عهد الانتداب الفرنسي على لبنان، قام مستخدمو إحدى الشركات، في بيروت بإضراب عام، فأقدمت الشركة على صرف بعضهم. ورفعت القضية إلى المحكمة المختلطة (لبنانية فرنسية) لكون بعض المستخدمين كانوا من الأجانب.

فحاول رئيس المحكمة، وهو فرنسي، أن يجد تشريعاً لبنانياً، للنظر بموجبه في القضية، فلم يجد. فسأل عن الأعراف المحلية المتبعة في لبنان، في مثل هذه الحالة، فأشار المحامي الشيخ يوسف جرمانوس، أحد كبار المحامين، في ذلك الزمان، إلى مثل شعبي لبناني يقول:

- من اشتغل عندي وأخذ كراه، لا هو شريكى ولا أنا مولاه.

قل إن الأمر تناهى إلى حاكم لبنان الكبير، يومئذ، القومندان «ترابو» الذي استأنس بالمثل وأشار باعتماده لاعتباره

عرفاً له قوّة القانون، وذلك للحكم بموجبه، في القضية المشار إليها، على أن توضع في ما بعد تشريعات حديثة لمثل هذه الحالة.

## بنادم أسود راس

يقول الزمخشري في كتاب «ربيع الأبرار» إن بعض العرب كانوا يخاطبون الله بقولهم: «يا أبيض الوجه».

ومن أخبار الأولين أن الشيطان، عندما لعنه الله، صار أسود البشرة، هكذا يرسم رجال الفن صورته إلى يومنا هذا.

ويقول النبي داود في المزامير: «طهرني بالزؤفا فاطهر، إغسلني فأبيض أكثر من الثلج».

وفي مفهوم العرب أن السواد والقبح صنوان، وكذلك البياض والجمال، ولذلك قيل: «سوداء ولود خير من حسناء عقيم».

ولعل أساس هذا المفهوم بدأ عند سكان الصحراء، حيث لوحتهم الشمس بحرارتها وقهرتهم، فنشأ عندهم أن السواد محنة، وإن البياض نعمة من السماء.

وبقينا نستعير هذا المفهوم في كلامنا، فنقول: «فلان بيّض وجه بلاده في المهجر، وفلانة سودت وجه أهلها في القرية، وبنادم أسود راس، أي أحق عديم التقدير».

## صار بينا ثنا خبر وملح

إذا ملحننا رجلاً، أي إذا تناولنا عنده طعاماً فيه ملح، نقول: «صار بينا ثنا خبر وملح». أي أننا ارتبطنا مع الرجل بميثاق صداقة، لذلك يقول المثل: «الصدق ملح الرجال»، فإذا اختلف رجلان ثم تصالحا وجب أن يجتمعا إلى مائدة طعام عملاً بالقاعدة المأثورة: «لا مصالحة بلا مملحة!».

يقول كتاب «المستعان في أخبار الجان» إن الله، عز وجل، عندما خلق أمة الثقلين، أي الأنس والجن، لم يشأ لحكمة نجهلها أن يكون هنالك توافق بين طوائف الأنس وطوائف الجن، وجعل لطوائف الجن خصائص مختلفة عن خصائص الناس، منها أن الجن لا يستعملون الملح في طعامهم، خلافاً لبني البشر. فإذا دخل الجني بيت أحد الناس، خلصة، وأغراه الطعام الموجود فيه وأكل منه، صار ملزماً بصداقة صاحب البيت وبإلوفاء له.

ويذكر مؤلف الكتاب قصص بعض الأشخاص الذين استدرجوا الجن إلى موائدهم واكتسبوا ولاءهم بواسطة الملح.



ومن الملح يشتق «المليح» بمعنى «المعروف»، يقول المثل:  
«إعمل مريح وإرمي بالبحر» و«المليح من الله والقبيح من  
عبد الله».

ومن الملح، كذلك، تشتق «الملاحه» بمعنى «الجمال  
والعفاف»، يقول المثل: «بنت مليحه ولا صبي فضيحه».  
ويقول المثل اللبناني، أخيراً، عن ناكر المعروف: «ملحو  
عا طرفو يلعن شرفو».

## حَاطَطُ بَكَعَارُو

سألت مستخدماً عن زميل له، قال: «تخطط المدير عليه،  
وبقي «حاطط بكعارو» حتى طَيَّرُو».

ففهمت حالاً معنى «تخطط» وهي كلمة دارجة لا يوجد  
في الفصحى ما يفيد مضمونها، أما عبارة «حاطط بكعارو»  
فما زالت هماً من همومي.

## تبليط البحر

إذا نسبنا العجز إلى رجل يدّعي القوة، قلنا: «يروح يبلّط البحر». فما هي قصة تبليط البحر هذه؟.

يقول سكان الشواطئ: «رزق البحر للبحر»، أي أنه لا يمكن ردم جزء من البحر للاستفادة منه إذ لا بدّ أن يعود البحر في ساعة غضب ويستعيد الجزء المغتصب.

رجل واحد في بلادنا استطاع أن يغتصب جزءاً من البحر، هو أحمد باشا الجزار الذي ردم بالتراب مساحة معينة من الشاطئ قرب مدينة عكا.

وبناء على نصيحة أحد القرويين غرس الجزار في التراب المردوم كميات كثيفة من جذور نبات النجيل التي تشابكت وكوّنت طبقة متماسكة عجزت أمواج البحر عن تفتيتها.

ثم رصف الجزار الجزء المردوم بالبلاط، فقبل: «الجزار بلّط البحر!» واقتربت عملية تبليط البحر باسم الجزار وصارت من معجزات ذلك الزمان.

هذا، ويذكر شيخ من إبل السقي أن الجزار فرض يومئذ

على سكان القرى، في ولايته، أن يزودوه بكميات من جذور  
التجيل كان نصيب إبل السقي منها عشرين كيساً.

## مِسْكُ الخَتَام

إذا كلّفنا رجلاً بمهمة، وطلب أجرته منا عشرين ليرة،  
مثلاً، نقول: «عشرين ليره وحبّة مسك».

هكذا نتبرّع بحبة المسك - كلاماً بكلام - ويجهل البعض  
منا أن ثمن حبة المسك، في بعض العواصم العربية، ما زال  
يعادل ثمن بعض الحجارة الكريمة.

والمسك هو مادة عطريّة ثمينة تستخرج من محالب ذكر  
الغزال عند ذبحه، لها رائحة ذكية جداً، كان أجدادنا  
يستعملونها في تطيب لحاهم، لذلك، يقول المثل: «قالولو:  
قنطار مسك بلحيتك، قال: هالكثره مش للخير».

في ذلك الزمان كانت صالونات تزيين اللحي متوافرة في  
أكثر المدن، يعتمد إليها سراة القوم، حيث يتم أولاً غسل  
اللحية، ثم تشذيبها، ثم صباغها بالحنّ، وبالتالي يتم تطيبها  
بالمسك.

فالمسك إذن هو خاتمة عملية تزيين اللحية. إلا أننا، مع  
مرور الزمن، استعرنا هذا الاصطلاح، وصرنا نقول عن كل  
خاتمة موفقة لحديث جميل: «إنها مسك الختام».

## «مَشْطَحِيْتُو»

إذا تكَلَّمنا عن رجل وعد نفسه وأعدّها لتولي منصب رفيع قلنا إنه «يَمَشِّطُ لحيته» لهذا المنصب.

قبل منتصف القرن الماضي، كان وجهاء القوم في لبنان يُطلقون لحاهم، لأنها كانت رمز كراماتهم. فإذا أرادوا تمشيط لحاهم عمدوا إلى صالونات تزيين اللحي، لأن استعمال المشط لم يكن شائعاً حتى ذلك الوقت.

يُحكى أن الأمير حيدر أبو اللمع، قائمقام النصارى، في عهد القائمقاميتين، كان أوّل مَنْ استحضر بعض الأمشاط وأهدى بعضها إلى بعض المقرّبين منه، فكان أحدهم إذا جلس في مجلس تناول مشطه وأخذ يَمَشِّطُ لحيته به أمام الناس، فيعلم هؤلاء أنه من أصحاب الحظوة عند الأمير.

وكان الأمير، يومئذٍ، في صدد تعيين مجلس إدارة من وجهاء البلاد، فإذا حدث أن تناول أحدهم مشطاً جعل يَمَشِّطُ لحيته به أمام الناس، قالوا: «فلان يَمَشِّطُ لحيته» أي أنه ربما صار عضواً في مجلس الإدارة.



أهل الكرامات إلهم علامات

وبقينا نستعمل هذه الاستعارة في كلامنا إلى يومنا هذا.  
وقد أشار جريس صفا في مذكراته إلى أساس هذا  
الاصطلاح.

## شايِفْ حالو

إذا تكلمنا عن رجل معجب بنفسه، قلنا إنه «شايِف  
حالو».

حتى مطلع القرن الماضي، لم تكن المرأة الزجاجية معروفة  
وشائعة عند العامة في لبنان، فإذا حصل عليها أحد كبار  
القوم، حملها معه، وتناولها وجعل «يتمراً» فيها أمام الناس،  
باعتداد وكبرياء، فيقال عنه «شايِفْ حالو»، أي أنه يرى  
وجهه في المرأة، فيزداد إعجابه بنفسه.

ثم بقينا نقول عن كل رجل معتدّ بنفسه: «شايِف  
حالو».

## غراب البين

يتشائم القرويون من نعيق الغراب ويطلقون عليه اسم «غراب البين».

كتاب «المستطرف» يلقي ضوءاً على أساس هذا التشاؤم. عندما يترحل قوم، في الصحراء، يتركون وراءهم ما يسمى «دمنة»، وهي مجموعة مخلفاتهم ومخلفات دوابهم، فتغطّ الغربان هنالك تقنات مما تجده بين هذه المخلفات.

وكان يحدث أن يسعى أحد الرجال في إثر قومه، أو قوم جبيته، ويظن أنهم في مكان معين، وإذا به من بعيد، يرى الغربان تحط وتطير فوق ذلك المكان، فيعلم أن قومه بانوا، أي رحلوا، فيحزن ويتألم.

ويقول كتاب «المستطرف» إن هذا هو أصل «غراب البين»، وهو كذلك أساس تشاؤم الناس من نعيق الغراب.

ويطلق بعض العرب على الغراب اسم «الفاسق»، لأنه، عندما أرسله نوح من السفينة ليكشف له عن منسوب المياه رأى جثة على وجه الغمر سقط عليها، فشغلته عن مهمته.

قيل إن نوح لعنه ودعا عليه أن لا يأكل - إلى الأبد - غير  
فضلات المزابل والجيف المستنة .

## مِثْلُ جِرَابِ الْكُرْدِيِّ

يُحْكِي أن كُردِيًّا أراد أن يذهب إلى الحج ، فجمع أشياءه  
الثمينة في جراب استودعه أحد جيرانه ريثما يعود من سفره .

عندما عاد ، قال له جاره إنه فقد الجراب ، وإنه مستعد  
أن يدفع ثمن محتوياته إلى الكردي ، الذي أبى إلا أن يرفع  
الأمر إلى قاضي المدينة .

فسأله القاضي عن محتويات الجراب ، فقال : فيه جواهر  
ونقود وخلاخل وعقود وعباءات وملءات وصواني وأواني ،  
وفيه سيوف مرصعة ودروع مدرّعة وخناجر وطانجر ، وفيه  
أربعة رماح مشرفية وخمس سجاجيد عجمية . . .

فصاح به القاضي : كفى ! انت استودعتو جراب بما بنايه  
بخمس بواب؟



## عَمِيْنِيْ فِيْهَا وَتَفُوْهُ عَلَيْهَا

التين هو أحد أثمار الجنة. به وعد الله عباده في الآخرة، وهو أشهى أثمار الأرض عند عرب البادية، حيث يندر وجوده.

يقول أبو قاسم عطيه من كفرحام إن البدوي يغامر بدينه وكرامته من أجل أن يبلّ ريقه بأكلة تين، فإذا مرّ ببستان تين دخل وأكل، مهما كلف الأمر، ولذلك قال المثل: «عرب وتين يا قلة الدين».

ومما يحكى أن بدوياً قدم إلى الشام وحظي بسلة تين اشتراها ليأخذها إلى عائلته في اليوم التالي، وجاء بها إلى الحان، حيث ينزل مع جماعة من أبناء عشيرته. وإذا خشي أن يغافله هؤلاء ويطبقوا بسلة التين، لجأ إلى حيلة، فبصق على سلة التين عدة مرات، بمراًى من رفاقه، لكي يقرفوا ويأنفوا منها.

ثم اضطر البدوي إلى أن يخرج لقضاء حاجته. وعندما رجع وجد أحد رفاقه واقفاً إزاء سلة التين يُحيل النظر فيها مطوّلاً.

فسأله ماذا يفعل بقرب سلّة التين.  
قال: «الكذاب ملعون، عيني فيها وتفهو عليها».  
فجرت عبارة البدوي مثلاً.

## سَلَّمَ عَلَيْنَا مِنْ قَفَا إِيْدُو

إذا مرّ بنا رجل من أصحاب الوجهة وسَلَّمَ علينا  
متكلفاً، نقول: «سَلَّمَ عَلَيْنَا مِنْ قَفَا إِيْدُو».

وأساس هذا القول ان الرجل من أصحاب المقامات  
الدينية أو السياسية كان إذا مدّ يده مسلماً، يبسط كفّه أفقياً  
بحيث تكون راحة اليد إلى أسفل وقفها إلى فوق، وتكون  
كفّ الزعيم فوق كفّ الرجل العادي، لا محاذية لها، والمقصود  
بذلك، استدراج الرجل العادي إلى تقبيل يد الزعيم، ولذلك  
نقول: «سَلَّمَ عَلَيْنَا مِنْ قَفَا إِيْدُو».

## الكرسي بتنسي

معلوم أن أكثر رجال السياسة يبدأون أحراراً مجاهدين، ويتتهون أصحاب مصالح متهنين، في البداية يعتنقون الحريات الديمقراطية ويجاهرون بالمطالب الشعبية، فإذا جلسوا على كراسي الحكم نسوا أو تناسوا. ومن هنا نشأ القول الشعبي المأثور: «الكرسي بتنسي» ويبدو أن لهذه العبارة قصة:

يقال إن راهباً صغيراً، في أحد الأديرة، اسمه اندراوس، لجأ إلى حيلة خلال أيام الصوم والقطاعة، فكان يُخبئ ما تصل إليه يده من البيض ويأكله خلصة عن رفاقه.

وجاء من يخبر رئيس الدير أن الأخ اندراوس حمل بيضة وخرج بها خارج سور الدير، فطلب الرئيس من أحد الرهبان أن يتعقب الأخ اندراوس ويضبطه بالجرم المشهود ويعود به إليه مع تقشيرة البيضة.

وذهب الراهب، وعاد بعد دقائق وقال: «سيدنا! الأخ اندراوس أكل البيضة... والتقشيرة» - جرت العبارة مثلاً -.

فغضب الرئيس واستدعى اندراوس ودعاه إلى الاعتراف،  
وأدخله وأجلسه على الكرسي الخاص بالاعتراف، وسأله:  
«ماذا كنت تفعل يا اندراوس، منذ ربع ساعة وراء سور  
الدير؟».

قال: «نسيت».

فانتهره الرئيس وقال: «وهل يمكن أن تنسى بهذه السرعة  
ما كنت تفعله منذ ربع ساعة؟».

قال: «العجيب يا سيدي، أن هذه الكرسي تنسي مَنْ  
يجلس عليها فلا يعود يتذكر شيئاً، وإذا كنت لا تصدّق  
إجلس عليها ودعني أسألك سؤالاً».

فجلس الرئيس على الكرسي، واقترب منه اندراوس  
وسأله: «يا أبونا الرئيس! ماذا كنت تفعل مع حَنّ إبنة وكيل  
الدير، تحت الزيتونه، مساء أمس؟».

فنهض الرئيس وقال: «معك حق، يا ابني، الكرسي  
بتنسي!».

## صار فينا مثل هذيك الحكاية

إذا علّلنا النفس بوعْد جميل لم يتحقق، قلنا: «صار فينا مثل هذيك الحكاية»، وأحياناً نُضيف: «بقينا ناكل سمك حتى شبعنا فول».

أكرم أبو سعدى يروي قصة هذا المثل، في معرض حديثه عن خطط المسؤولين لتركييد المحرومين، قال:

كان لرجل فقير عشرة أولاد، وكان من شدة فقره لا يستطيع أن يُشبعهم غير الفول الذي كانوا يتذمرون دائماً من أكله.

فابتكر الرجل حيلة بارعة، وهي أن يحكي لأولاده حكاية جديدة مثيرة كلما جلسوا حول معجن الفول - بهذه الطريقة يصرف انتباه الأولاد بما يسمعون عما يأكلون.

وفي إحدى المرات بدأ الرجل حكايته، قال: «ذهبت يوماً مع رفاق لي واصطدنا كمية من السمك وذهبنا إلى مكان فيه ظل وماء وجلسنا...»

وكان الرجل عند كل عبارة، يتناول لقمة فول، فيفعل أولاده مثله تلقائياً، ثم يقولون له: «وشو عاد صار؟».

فيقول: «جلسنا في ذلك المكان الجميل، وشوينا بعض السمك وقلينا البعض الآخر...» فيقبل الأولاد، بدون انتباه، على أكل الفول، ثم يسألون: «وشو عاد صار؟».

فيقول الرجل: «ثم صنعنا طراطوراً بحبحنا فيه الحامض والبقدونس، وسكبنا خمراً ووضعنا بعض المكسرات، وأخذنا نأكل السمك مع الطراطور...».

فيسأل الأولاد أخيراً، وكانوا شبعوا من أكل الفول: «وشو عاد صار؟».

أجاب الرجل: «بقينا نأكل سمك حتى شبعنا فول».

## وَيْلِي وَطْبِيلِي

زارتنا جارتنا أم سرور ومدّت علينا حديثاً، قالت: «شو بَدِّي أعمل، «وَيْلِي وَطْبِيلِي»، إذا تهندمت بكسف بناتي، وإذا تهاملت بصير مثل حماقي».

سأحك الله يا أم سرور، بعد كان ناقصني «وَيْلِي وَطْبِيلِي». سألت عنها قندلفت الكنيسة، قال: «وَيْلِي»... مين ما كان يفهمها، و«طْبِيلِي»... عمرو ما حدا يفهمها.

ففهمت، واكتفيت بنصف الحقيقة.

## قِصَّة مِزْرَابِ الْعَيْنِ

يُروى أن شاباً أقدم على كسر مِزْرَابِ عين القرية فقبض عليه رجال الأمن وقَدَّموه إلى المحاكمة.

فسأله القاضي: لماذا كسرت مِزْرَابِ العين؟

قال الشاب: كان والدي من أصحاب المروءة، وكانت هذه العين ملكاً له، عن أبيه وأجداده، فأنشأ لها حوضاً ودرجاً ومِزْرَاباً من ماله الخاص، وتبرَّع بها للقرية. لكن أهل القرية لم يشكروا والدي في حياته ولم يرحموه في مماته، فانطفأ خبره. ولم أجد وسيلة أعيد بها اسم والدي على ألسنة الناس، سوى هذه الوسيلة، ففعلت ما فعلت لكي يقال: فلان ابن فلان كسر مِزْرَابِ العين.

هذه هي قصة مِزْرَابِ العين كما يرويها العامة في لبنان، لكن الأخ شاهين المسمار، يأبى أن يمر بهذه القصة المشهورة مرور الكرام ويحاول أن يتعمق في فهم دلالتها.

يقول الأخ شاهين، إن العامة إذا ذكروا اسم أحد

موتاهم قالوا إن نفسه طلبت الرحمة، فيرحمونه بقولهم: المرحوم فلان، أو فلان الله يرحمو. حتى ولو ذكروا اسمه بسوء.

وهو يعني أن الناس لا يفتنون إلى وجوب الترحم على أحد الموق، إلا إذا ذكروا اسمه. ولذلك - يقول شاهين - أقدم الشاب على كسر مزراب العين، لكي يقال: فلان ابن المرحوم فلان كسر مزراب العين.

## ابن الحلال عند ذكره بيبان

من مشاغل العلم الحديث معرفة ما إذا كان صحيحاً أم غير صحيح وجود حاسة تجعل الإنسان يشعر أحياناً بقدم إنسان آخر قبل أن تراه عيناه، أم أن ذلك يتم بالصدفة.

لكن يبدو أن هذا الموضوع كان يشغل بال العامة من اللبنانيين منذ وقت طويل، فقد يحدث أن نبدأ حديثاً عن رجل لا يبرح أن يدخل فنقول: «ابن الحلال عند ذكره بيبان».



القسم الخامس

من كل وادي عصا



## لو كان فيها خير ما رماها الطير

«والطير» هنا هو الباز أو الصقر المتسلط على سائر الطيور والذي ما زال شيوخ الصحراء العربية يدربونه ويستعملونه لاصطياد سائر بني جنسه، وهم يطلقون عليه اسم «الطير».

ومما يروى أن «الطير» يصطاد جميع أنواع الطيور ويأتي بها إلى صاحبه، ما عدا البومة التي ما أن يقبض عليها، حتى يشتّم رائحتها الكريهة، فيقتلها ويرميها ولا يعود بها إلى صاحبه.

لذلك يقال عن البومة: «لو كان فيها خير ما رماها الطير».



وهذا وجه الضيف

## الدنيا حكّ جحاش

سنة ١٩٤١ اجتازت القوّات الانكليزية حدود لبنان، من فلسطين، واجتاحت بعض المناطق الجنوبية وجعلت قرية إبل السقي مركزاً لقيادتها.

وطلب القائد الانكليزي أن يجتمع بوجهاء القرية، فلبّوا طلبه. قال القائد ما معناه إن الانكليز خاضوا الحرب حباً بالسلام، وعلى الشعوب المحبة للسلام أن تتعاون مع الانكليز، لما فيه خير الجميع.

فتنطّح أحد وجهاء القرية وقال: كلامك عالراس والعين، يا حضرة القائد، نحنا مستعدين نتعاون معكم ما زال في منفعة متبادله، والمثل بيقول: الدنيا حك جحاش، حِكَلِّي وبحكَلْكَ!

فاستهجن الحاضرون، ولم يتورّع بعضهم عن الضحك، وكنت أتولّى الترجمة، فشعرت بحرج شديد، خشية أن يثير ضحكهم مزاج القائد الغريب، واستدركت وقلت إننا قرويون وقد اكتسبنا من عشرة الحيوانات بعض الحِكم وبنينا عليها

بعض الأمثال، فالحمار، مثلاً يستطيع أن يحك جميع أعضاء جسمه، ما عدا ظهره، لذلك كلما التقى حماران تولى الواحد منهما، بحكم غريزته، حك ظهر الآخر بأسنانه، لذلك نقول، في معرض كلامنا عن تبادل المنفعة: الدنيا حك جحاش، حكلي وبحكلك.

فانشرح خاطر القائد الانكليزي وقال: هذا كلام جميل جداً، وأجمل ما فيه أننا، في بلادنا نستعمل هذا المثل، فنقول: حك لي ظهري، وأنا أحك لك ظهرك. إلا أننا لا نعرف أساس هذا المثل.

وأردف القائد قائلاً: سأكتب، الآن، في يومياتي، أن على الانكليز أن يبحثوا في لبنان، عن بعض جذور حضارتهم المنسية.

فقلت في نفسي: «لا حول ولا قوة...» كانت تنقصنا هذه المصيبة، في هذه البلاد، وهي أن نتعرض في وقت قريب، لغزوة استعمارية للتنقيب عن حسابات منسية في دفاتر أجدادنا القروية».

\* \* \*

هذه القصة وقعت منذ زمن بعيد. لم يكن أدب العامة، يومئذ من إهتماماتي. وعندما بدأت أبحث، بعدئذٍ عن جذور حضارتنا الشعبية، فطنت إلى جواب القائد الانكليزي،

وقلت، لا بدّ أن تكون هنالك مآثورات وحكم وأمثال مشتركة  
بين بعض شعوب الأرض، ولا سيما حيث تفاعلت حضارات  
الشعوب بعضها مع البعض الآخر.

## شخصية أفكار

الحاج فضل سرور درس التوراة على طريقته، قال:  
قرأتها أربع مرّات، رَوّحه رجعه، وفهمت المفهوم وغير  
المفهوم.

فسألته عن غير المفهوم، قال: الله كبير، ما عندو إيد  
وإِجر، بس بينخاف رجال الدين يشخسبولو فكارو.

## لَعِبَ الْفَارُ بَعْبُو

في الطائرة من باريس إلى لندن، تعرّفت على رجل إسباني يعيش في انكلترا، منذ الثورة الإسبانية. تحدّثنا في السياسة، وسألته عما إذا كان سيعود إلى بلاده بعد وفاة الجنرال فرانكو، قال: نحن الاسبان، عندنا قول مأثور، معناه: يا رب خذنا! يا رب جيئنا! يا رب ردّنا إلى بلادنا.

فقلت: هذا الكلام يذكرني بقول مأثور عندنا، نحن اللبنانيين هو: يا رب شيلنا! يا رب حطّنا! يا رب خلّينا على ما نحن عليه.

وكانت زوجتي تشاركنا الحديث، فقالت إن هذا القول المأثور مبني على أساس أسطورة تقول إن ناسكاً أنقذ فأرة مهشّمة من براثن أحد الكواسر ووضعها في عبّه لتدفاً فيه وتستعيد رmqها.

وشعر الناسك بحنوّ غريب نحو الفأرة، فناجى ربّه وطلب منه أن يحوّل الفأرة إلى فتاة يجعلها الناسك ابنته، فنسلّيه في وحدته.



ثم تصور الناسك أن ابنته العتيدة هذه ستكون، ولا شك، أجمل فتاة بين الفتيات، وأخذ يفكر في مستقبلها، قال: سأزوّج ابنتي إلى أعظم شيء في الدنيا.

وكان البدر، آنئذٍ، يتهادى في قبة السماء، فظن الناسك أن القمر هو أعظم مَنْ في الدنيا، فقال له: أنت أعظم مَنْ في الدنيا، تعال فأزوّجك ابنتي. قال القمر: ولكن السحاب أعظم مني، لأنه يغطيني، ساعة يشاء، ويحجب نور وجهي.

فتوجه الناسك إلى السحاب، وقال له: بما أنك أعظم مَنْ في الدنيا، تعال فأزوّجك ابنتي. قال السحاب: لا بل إن الريح أعظم مني، لأنه يأخذني ويردني أينما يشاء.

فقال الناسك للريح: إذن أنت أعظم مَنْ في الدنيا، وأنا أريد أن أزوجه ابنتي. قال الريح: ألا تعلم أيها الناسك أن الجبل أعظم مني، لأنني أعصف فيه، منذ الأزل، ولا أستطيع أن أزحزه من مكانه.

وكانت الفأرة ما تزال في عب الناسك، تسمع وتفهم وتحلم أن يجعلها الله فتاة ويرفعها إلى أعلى مرتبة ويزوجهها أعظم مَنْ في الدنيا.

والتفت الناسك، أخيراً، إلى الجبل وقال له: بما أنه ثبت عندي، أخيراً، أنك أعظم مَنْ في الدنيا، لذلك قررت أن أزوجه ابنتي.

قال الجبل: ولكن، بكل أسف، إن الفأر أعظم مني،  
لأنه يحفر أنفاقه في جوفي ويسرح ويمرح في أحشائي، ولا أظن  
أنك ستجد في الدنيا من هو أعظم من الفأر، فتزوَّجْه ابتك.

فهتفت الفأرة، عندئذٍ، في عب الناسك: يا رب شيلني!  
يا رب حطّني! يا رب خلّني على ما أنا عليه.

وجرى قول الفأرة كلاماً ماثوراً إلى يومنا هذا.

هكذا روت زوجتي هذه الأسطورة، كما ترويها عجائز  
قريتي، لا كما وردت، أساساً، في كتاب «كليّة ودمنة».  
فضحك رفيقنا الاسباني وبادلنا الحديث بأسطورة أخرى.

قال إن ناسكاً عثر على فأرة شاردة أنهكها الجوع والتعب  
والبرد، فعطف عليها، وخبأها في عبّه لتدفأ فيه وتستعيد  
أنفاسها وأخذ يصلي بحرارة إلى الله أن يعيد إلى الفأرة رmqها،  
لكن بدون جدوى، لأن الفأرة، بقيت بدون حراك.

ثم تحركت الفأرة فجأة في عب الناسك وقفزت منه  
وراحت تلعب وتمرح في صحن الدار، وبدا أنها اشتّت  
رائحة فأر ذكر في إحدى الزوايا، فدبّت الحياة فجأة في  
عروقها، وهبّت تجري إليه.

فصحّت عندئذٍ، في وجه الاسباني: هذه من أساطير  
بلادِي، نحن نقول في مثل هذه الحالة: لعب الفأر بعبو.  
لعلنا نسينا الأسطورة واحتفظنا بالقول الماثور.

## مِنْ عِظَامِ الرَّقَبَةِ

في بلاد الانكليز حظيتُ بسيدة تعنى بجمع القصص القديمة، فروت لي بعض الأساطير، منها أسطورة تقول إن إحدى النساء انقطعت مع ابنتها الصبية، في جزيرة نائية خالية من السكّان، وانقطع كل أمل للمرأة في أن تجد زوجاً لابنتها.

وأشفقت المرأة على ابنتها وتضرّعت إلى الله بحرارة أن يخلق، بحكمته، زوجاً لابنتها. فأنزل الله سباتاً عميقاً على المرأة، وأخذ عظمة من عظام رقبتها وجعلها رجلاً صار صهر المرأة، لذلك تحب المرأة صهرها كثيراً، وتقول: إنه من عظام رقبي.

فهتفتُ، عندما سمعت هذه القصة: «وجدتها». - كما قال أرخميدس في قديم الزمان - فنحن نقول، في لبنان، عن كل مَنْ هو حبيب وقريب إلى قلوبنا: إنه من عظام الرقبة.

ثم ان هذه الأسطورة تحمل رائحة أجدادنا الكنعانيين وتذكرنا بقصة خلق حواء، كما وردت في التوراة، ألم ينزل الله سباتاً على جدنا آدم ويتنزع ضلعاً من أضلاعه ويجعله زوجة ...

## لا يموت الذئب ولا يفنى الغنم

بين مذاهب الفلسفات ما يُسمى فلسفة الأضداد، فالشرّ ضد الخير، والرذيلة ضد الفضيلة، والشيطان ضد الله، وجهنم ضد الجنة، والظلام ضد النور، حتى قيل إن المرأة ضد الرجل، والنفس - الأمانة بالسوء - ضد العقل المنزه عن الخطأ.

وخلاصة القول إن استمرارية الوجود رهن باستمرارية تفاعل الأضداد، فإذا بطل عمل الأضداد انتهى الوجود. وفي أساطير قدماء الإغريق جذور عميقة لهذه الفلسفة.

تقول إحدى الأساطير إن الآلهة خلقت الحروف، وخلقت الذئب ضدّاً له. ثم وجدت أن الذئب قد يقضي نهائياً على الحروف وعلى نسله، فيبطل بذلك عمل الأضداد، فأوجدت الآلهة ضد الضدّ وهو الكلب، وأعطته قوة محدودة يستطيع بموجبها أن يحمي نوع الغنم من الفناء، ولا يستطيع - أي الكلب - أن يقضي على الذئب، ليبقى عمل الأضداد قائماً.

وهذه الأسطورة تذكرنا بقول لبناني مأثور. فإذا أردنا أن  
نحلّ خلافاً بين فريقين، بحيث لا يقع غبن على فريق دون  
فريق، قلنا: حتى لا يموت الذيب ولا يفنى الغنم.

## قد بساطك مدّ إجريك

الحاج مقبل طباجه له فلسفته الخاصة في الناس، قال:  
«الناس فئتان: فقير وغني، والفرق بينهما بسيط جداً: الفقير،  
قد بساطو ييمد إجريه، والغني، قد إجريه يشتري البساط».

## أكثر من القرد ما مسح الله

يقول بعض علماء الغرب إن الإنسان كان قرداً، ثم تطور وارتقى وصار بشراً سوياً، في حين يقول بعض فلاسفة الشرق إن القرد، إنما كان إنساناً تعاطى فن التمثيل فغضب الله عليه ومسحه قرداً زريئاً.

ويروي كتاب «الميثولوجيا والأدب» أن الله، عندما خلق الناس أراد أن يجعل لكل إنسان مهنة يتعاطاها، لكي تعمّر الأرض وتزدهر بأعمال الناس، فتعاطى كل إنسان عملاً معيناً كالزراعة والحياكة والصيد ورعاية الماشية والحرب، وما أشبه ذلك.

أما القرد، وهو إذ ذاك إنسان مثل سائر الناس، فقد تعاطى مهنة التمثيل، وصار يقلد حركات الناس وسكناتهم، دون أن يقدم إلى المجتمع شيئاً مفيداً. أضف إلى ذلك أنه حاول أن يقلد حركات العزة الألهية.

فاستدعاه الله ونهاه عن هوايته تلك. لكن القرد، وهو

أول مَنْ تعاطى فن التمثيل، لم يدعن لمشيئة الله، فغضب الله عليه ومسحه حيواناً حقيراً.

وتقول الأسطورة ان القرد، بعد أن صار حيواناً، بقي على ضلالتة، وجعل يقلّد حركات الناس بمهارة وإتقان، فجاء مَنْ يقول له: لماذا هذه المكابرة، ألا تخاف من غضب الله؟

قال القرد: وماذا عساه أن يفعل بي أكثر مما فعل؟

والغريب بالأمر، أننا في لبنان، نستعمل قولاً مأثوراً، ربما كان مبنياً على أساس هذه الأسطورة الهندية، وفي نفس المعنى تقريباً، فنقول: أكثر من القرد ما مسخ الله!

## قوم بلا جهال ضاعت حقوقهم

في رأس شارع جان دارك، عتال عتيق يحتلّ الزاوية، منذ سنوات. كلّفته، يوماً مهمّة، وعندما أنس مني تلطّفاً نحوه، أراد أن يمدّ معي حديثاً، فسألني: «شو بتقول الجريدة اليوم؟».

قلت: «ياسر عرفات يدعو إلى السلام في أميركا، والفلسطينيون الفدائيون يقتلون الإسرائيليين في بيوتهم».

فانشرح خاطر الرجل وقال: «ايه، هالمرة صاروا الإخوان الفلسطينيين يفهموا بالسياسة، نحنا بجبل الدروز منقول: قوم بلا عقال راحوا قطاع، وقوم بلا جهال ضاعت حقوقهم».

وأضاف أخونا العتال: «هيك يا خواجه، العاقل يعقل، والجاهل يجهل، كل واحد إلو دور، وكل شي بوقتو مليح!»

ثم نقلت الحديث إلى الصديق الشيخ بديع تقي الدين، فذكرني بما يُسمّى «قبة باط» عند العامة. فإذا تعذّر على أصحاب الحل والربط أن يحلّوا، أو أن يربطوا أمراً ما،



«بالتي هي أحسن». «قَبُوا باطاً» - أي غصوا النظر - فيتولَّى الجَهَّال حلَّه أو ربطه، «بالتي هي أسوأ».

ثم نشرت هذه القصة، في جريدة النهار، تحت موضوع: «قوم بلا عقَّال راحوا قطاع، وقوم بلا جهَّال ضاعت حقوقهم». فاتصل بي، في اليوم التالي، المرحوم عبد الله النجار، وقال إن هذا القول المأثور له قصة تُذكر فتُشتر.

- هبط إلى دمشق، شيخ جليل، من مشايخ وادي العجم - أو وادي التيم، حسب ظن الراوي - وبات في أحد خانات المدينة. وكان يتمنطق بكَمَر فيه خرجية السفر، وضعه تحت وسادته، في أثناء الليل، وعند الصباح خرج في حاجة نفسه، وعاد فلم يجد كَمَره. فراجع صاحب الخان في الموضوع. فقال له هذا: «إذهب فتش عن كمرك حيث أضعته، إذ كان يجب عليك أن تستودعني الكمر، فأكون مسؤولاً عنه».

فقال الشيخ: «لا حول ولا قوة...» وقرر أن يعود، تَوَّأ، إلى قريته، فاعترضه الرجل، وطالبه بكراء الخان - أي بدل المنامة - وإذا لم يبق مع الشيخ ما يبريء من ذمته به، فكَّر قليلاً... وحك جبينه... ثم أخذ شعرة من لحيته، وقال لصاحب الخان: «هذه شعرة من لحيتي، اجعلها رهناً عندك، حتى أرسل إليك كراء الخان».

ورجع الشيخ إلى قريته. وبعد يومين، حظي برجل ذاهب إلى دمشق، فقال له: «يا معوِّد! خذ هذه البشالك

الثلاثة، واذهب إلى الخان الفلاني، وحاسب صاحبه، واطلب منه أن يبريء لي ذمتي، وأن يُسَلِّمك شعرة من لحيتي تركتها رهناً عنده».

ومضى الرجل، إلى الخان وقال لصاحبه: «هذا كراء الخان من الشيخ فلان، أبرء ذمته معك، وأعطني شعرته المرهونة عندك».

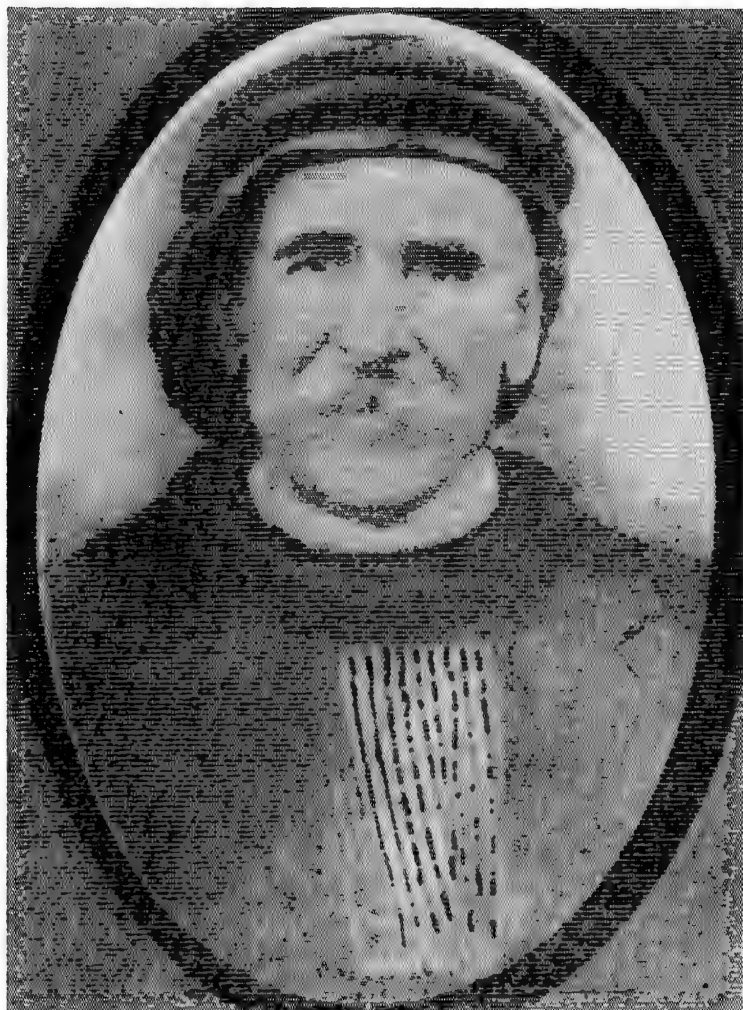
فضحك صاحب الخان، وقال: «ما أقل من عقلك، غير عقل الشيخ الذي أرسلك، سلّم على صاحبك الشيخ، وقل له أن يأتي ويفتّش عن شعرة لحيته في مزابل المدينة».

وعاد الرجل إلى القرية، وروى ما حدث له مع صاحب الخان، فاشتد غضب الشيخ، وأقسم بحلق لحيته، أو الثأر لكرامته.

وجاء عقلاء القرية، يطيبون خاطر الشيخ، ويتبادلون الرأي في اتخاذ أي تدبير يحفظ كرامته، قالوا: «نتقدّم بشكوى إلى أحد قضاة الشام، لا بل نرفع عريضة إلى الوالي، لا بل يجب أن نطلع زعماءنا على حقيقة أمرنا...».

ودامت اجتماعات ومشاورات العقلاء، عدة أيام، بدون جدوى.

أخيراً، وبعد منتصف إحدى الليالي، قرع باب الشيخ، فنهض وفتح. فوجد ثلاثة شبّان مُلثمين، ناولوه جراباً،



قوم بلا عقّال راحو قطايع

وتواروا بسرعة - لا سلام ولا كلام - فدخل الشيخ . . . وأضاء السراج . . . وفتح الجراب، وإذا برأس غريمه صاحب الخان، داخل الجراب.

وتبين، في ما بعد، أن بعض شبان القرية، عندما شعروا بعجز عقلائهم عن ردّ اعتبارهم، تسللوا سرّاً إلى دمشق، وفتكوا بصاحب الخان وجاؤوا برأسه.

قبل هذه الحادثة، كان عند العامة، في بعض المناطق الجبلية، قول مأثور هو: «قوم بلا عقّال، راحوا قطايع»، لأنّ العقّال يعملون، دائماً، على جمع كلمة قومهم، فلا يتفرق رأيهم، ويروحون قطايع.

يقول الراوي، وبعد هذه الحادثة، صار القول المأثور: «قوم بلا عُقّال راحوا قطايع، وقوم بلا جهّال ضاعت حقوقهم».

## بيعُ بقرَد ومقرعة !

إذا قرف اللبناني من أحد مقتنياته، وأراد أن يتخلّص منه، بأي ثمن كان يقول: «سأبيعه بقرَد ومقرعه».

الصديق فندي ابو سيف، عنده قصة طريفة يقول إنها أساس هذا القول المأثور، ونحن ننشرها هنا، إن لم يكن لصحّتها، فلطرافتها.

يُحكى أن رجلاً من جبل لبنان، هاجر إلى حوران، حيث اشتغل عدة سنوات، عاد بعدها إلى قريته، بِجَمَلٍ..

ولم يكن اقتناء الجمل شائعاً في المناطق الجبلية من لبنان، في ذلك الزمان، فتحوكم أهل القرية حول الجمل يتفرّجون، وطقق الرجل يطري مزاياء جملة.

- إنه يحمل ثلاثة أضعاف حمل الحمار.

- تستطيع تحميله وهو راقد.

- يأكل الشوك ويشرب مرة واحدة في الأسبوع.

- لا يحرن ولا يرفس ولا يقيب ولا يعنفص، ويستطيع  
الولد أن يجرّه إلى حيث أراد.

وأقبل من جملة المتفرجين زعيم كبير، راكباً على جواد  
كريم، ورأى وسمع وترجل وتقدم وعرض على صاحب  
الجمال مداكشته بفرسه الأصيل، فرفض.

لكن صاحبنا هذا، صاحب الجمل، ما لبث أن فطن  
إلى أن باب بيته أوطى من ظهر الجمل، ونحن على أبواب  
الشتاء، ويجب تأمين مأوى للجمل، ولا مناص من هدم أحد  
جدران البيت وفتح باب جديد عالٍ، والمثل يقول: «إلي  
بيعمل حالو جمال بدو يعلي باب دارو». وفي ذلك ما فيه من  
مشقات وتكاليف، فأرسل ابنه إلى صاحب الفرس يقول:  
«الوالد راجع أفكاره، وقبل مداكشة الجمل بالفرس».

فقال صاحب الفرس: «وأنا راجعت أفكارى، وأريد أن  
أحتفظ بالفرس، لكن عندي هذا الكديش، لعل والدك يقبل  
مداكشته بالجمال».

فرفض صاحب الجمل.

ثم ثبت عند صاحبنا هذا، أن جملة لا يصلح للعمل في  
تلك المنطقة الجبلية، لأن أقدامه لا تساعد على السير في  
المسالك الموعرة والطرق المتعرجة، وبالتالي، لا خير فيه  
يرتجى، فأرسل ابنه، مجدداً إلى صاحب الكديش يقول:  
«الوالد راجع أفكاره، وقبل مداكشة الجمل بالكديش».

فقال صاحب الكديش: «وأنا كذلك، راجعت أفكارى ووجدت أنى ما زلت بحاجة إلى الكديش، لكن عندي هذا الجحش الكر لعل والدك يقبل مداكشته بالجمال». فرفض صاحب الجمال.

ولم يمض وقت طويل، حتى أخذ يشعر بأعباء مسؤولية الجمال، إذ عليه أن يرعاه في النهار وأن يؤمن له عليقاً في المساء، حتى صح فيه قول المثل: «أكل ومرعى وقلة صنعه».

فجرّ الرجل جملة، ذات صباح، لعند صاحب الجحش وقال له: «أنا محسوبك، بدي صفو خاطرك، الجمال مقدم، بارك لي بالجحش».

فقال صاحب الجحش: «ولكنني تذكّرت المثل القائل: «إذا زمانك جار داكش فرسك بحمار». فتشاءمت وخفت من جور الزمان، فدعني وشأني وخذ جملك واذهب عني».

هكذا لزق الجمال بذقن صاحبه، كما تقول العامة، وبدأ أهل القرية يشمتون به:

- يا بو مسعود، عندي جدي أعرج، بتداكش؟

- يا بو مسعود، عندي قرقة وشرشوح قراد العش، بتداكش؟

- يا بو مسعود، عندي كلب جعاري ختیار، لا بیهش  
ولا بینش، بتداکش؟

ويا ویل مَن استوطی حیطه أهل قریته، فرکبوا مقلته،  
وعملوه شغلتهم وعملتهم:

- یا جماعه، بو مسعود، غاب وجاب.

- یا عمی، بو مسعود ترقی: استکبر ونقی.

- علیم الله، بو مسعود صار شیخ، بدو یعلی باب  
دارو.

أخيراً قرر بو مسعود أن يتخلص من الجمل بأي وسيلة  
ممکنة.

\* \* \*

وحدث أن قدم إلى القرية، رجل غریب، معه قرد يؤدي  
بعض الرقصات، ویقلّد بعض الحركات، فیجمع الرجل  
بواسطته بعض المتألیك والبارات، فاستفرده صاحبنا، وعرض  
عليه «مداکشة الجمل بقرد ومقرعه!».

والمقرعة هي قطعة جبل مشدودة إلى عصا قصيرة،  
یحملها الرجل فی يده، لإخافة القرد وإرغامه على تأدية  
الرقصات والحركات المطلوبة.



## اَخْتَلَطَ الْحَابِلُ بِالنَّابِلِ

يروى نبيه غطاس قصة الفتاة التي جاءت لعند جدتها العجوز وهي تبكي . وبعد جهد جهيد استطاعت العجوز أن تفهم سبب بكاء الفتاة التي قالت إنها «حبل شوي» . فقالت لها جدتها: يا تقبري ستك كل شي ممكن يكون شوي إلا الحبل: يا حَبَل يا نَبَل .

وهذه القصة تذكّرنا بالمثل القائل: اختلط الحابل بالنابل . وأصل هذا المثل هو أن المَعَّاز، بعد موسم عشار الماعز، يعرّب المعاشير من غير المعاشير لبيع غير المعاشير ويحتفظ بالمعاشير منها، وتُسمّى المعاشير «حابل» وغير المعاشير «نابل» . ويحدث أحياناً أن تختلط المعاشير مع غير المعاشير فيستاء الراعي ويقول: اختلط الحابل بالنابل .

وهذا المثل معروف عند العرب وشائع على ألسنة كتّابهم .

# الملاحم في أدب العامة

في أدب العامة، عند اللبنانيين، ملاحم، كما عند سائر الشعوب، وكما هي قصة عنتر وسيرة بني هلال عند العرب.

وتكون الملحمة غالباً، من نسيج خيال العامة، وتدور حول شخصية بطل تتجسد فيه احلامهم وتشوّقاتهم إلى الشهرة والمجد والكرامة.

ومن يقرأ قصة عنتر، يجد أن هذا البطل العربي العظيم، خاض غمار أكثر حروب العرب، خلال عدة قرون، حتى أنه اشترك في الحروب الصليبية، وتزوج أخت ملك رومه، من بنات الافرنج، فحملت منه وولدت البطل العظيم ريكاردوس قلب الأسد.

وفي بحثي عن أدب العامة في لبنان، حظيت بعدة ملاحم، اكتفي الآن بنشر إحداها، وهي قصة البطل «عيد الفيكى» الذي تواترت اخباره، على ألسنة شيوخ وعجائز قريتي إبل السقي، عشرات، بل ربما مئات السنين.

\* \* \*

عاش في إبل السقي، في ما مضى من السنين، شاب اسمه «عيد الفيكي» طول قامته اثنا عشر شبراً، وفي يده اليمنى ست أصابع، وفي كل أصبع أربع عقايد. وقد ولدته امه يوم عيد العنصرة، فسمته «عيد».

في ذلك الزمان، كان عند سلطان بني عثمان، «مصارعجي» عبد أسود اسمه «الصنديد»، غلب كل من قال «انا»، في عاصمة السلطنة، فنشر السلطان تعميماً، في جميع أنحاء سلطنته، يطلب فيه من حكام المقاطعات أن يبحثوا عن جبابرة الرجال، ويرسلوهم إليه، ليصارعوا الصنديد، لأن التفرج على صراع الجبابرة كان من هوايات السلاطين.

وحدث في أحد الأيام أن مر عيد الفيكي في «مرج الخوخ»، قرب إبل السقي - وهذا هو اسم المكان حتى الآن - حيث كانت هناك عدة أشجار خوخ قديمة، فوجد شجرة يابسة، أمسك بساقها واقتلعها من جذورها، ونهض بها وحملها على كتفه، ليعود بها إلى بيته.

وصدف أن مرّ، في تلك الساعة، الأمير الشهابي، حاكم «وادي التيم» في ذلك المكان، ورأى ما كان من عيد الفيكي، وكيف أنه اقتلع الشجرة من جذورها، فاستدعاه، وعرض عليه أن يذهب إلى اسطنبول، ويصارع العبد صنديد، فإذا انتصر عليه نال رضى السلطان.

وكانت عند عيد كلبة سوداء اسمها «سرو» ترافقه أينما

ذهب، فقالت له أمه، عندما ودّعته: خذ «سروه» معك،  
فإذا عدت إليّ سالمًا، عادت معك، وإذا، لا سمح الله،  
أصابك مكروه، تعود «سروه» وحدها، فأعرف عندئذ أنك  
مُت، وأسلم أمري إلى الله.

وسافر عيد إلى اسطنبول، ومعه الكلبة، وبعد أن استراح  
عدة أيام، أحضره إلى ميدان قصر يلدز، حيث ترّبع  
السلطان، على منصّة في صدر المكان، وحوله الأمراء والوزراء  
والأعيان، وإذا بعبد أسود مديد، يُطل على الحلبة من بعيد،  
ويصيح: «أنا الصنديد، قاهر كل جبار عنيد، صحايف على  
كل من قال «أنا»، تركي عربي، قيسي يمّني، ساحلي جبلي».  
فصاح به عيد الفيكي: قُل «ساحلي» ولا تَقُل «جبلي».

قال العبد: ومَنْ أنت؟

قال عيد: أنا عيد قاهر كل صنديد.

قال العبد: هل عندك أم تبكي عليك؟

قال عيد: البكاء فوق رأس الميت.

قال العبد: هل كتبت وصيّتك؟

قال عيد: سأكتبها بدمك.

فتطايّر الشرر من عيني العبد صنديد، وهجم على عيد.  
لكن عيد كان أسرع منه، فأغرز أصابعه في بطن الصنديد،  
وسحب مصاريثه من كرشه، فخر العبد صريعاً.

كان السلطان ينتظر ظهور بطل جديد، يقهر الصنديد،

فأمر بإدخال عيد إلى قصره، وإلباسه أفخر الملابس، وتكريمه،  
ثم إحضاره إليه بعد أسبوع.

وبعد أسبوع أدخل عيد الفيكى على السلطان، فأنعـم  
عليه بخلعة وسيف وفرس وخرجية، وسمح له بالعودة إلى  
بلاده.

أما الكلبة «سروه»، فقد بقيت خارجاً بعد إدخال عيد  
إلى بلاط السلطان، وعندما يئست منه، عادت أدراجها، من  
حيث أتت.

وعندما وصلت الكلبة وحدها إلى إبل السقي، ولولت أم  
عيد. ومزقت ثيابها ولطمت صدرها وشحرت وجهها،  
وتفجعت. فهرعت إليها نساء القرية يؤأسنها، وكانت أم  
عيد، شاعرة نذابة - حتى تتم القصة - فعصبت جبينها بعصابة  
سوداء وجلست بين النساء تندب وحيدها بأبيات، من مقام  
الفراقيات، على الوزن الخفيف:

وَيْنُو يَا «سَرُو» عِيد

قالت: بعيد بعيد

سافر على اسطنبول

تا يصارع الصندي

سافر على اسطنبول

وسفرتو بتطول

يا مين يجي ويقول  
إبنك غلب صنديد  
يا مين يجي ويشوف  
شارب عريض معكوف  
ولّفه وعباية صوف  
ومداس جلد جديد

لكن لم يطل الوقت حتى أقبل عيد الفيكى، على ظهر  
جواد يتقلّد سيفاً مرصعاً، ويرتدى حلة مزركشة. فهب أهل  
القرية يستقبلونه بالحداء، وطفقت أم عيد تنشد بعض  
الأناشيد، من مقام الزلاغيط، المعروفة في مناسبات الأفراح.  
وهكذا صار «عيد الفيكى» بطلاً عظيماً، لا يُذكر اسمه  
إلا بالفخر والاعتزاز.

\* \* \*

عاشت قصة «عيد الفيكى»، في خيال أبناء إبل السقي.  
جيلاً بعد جيل، حتى قام جيلنا، نحن المتعلمين المشككين  
بمفاهيم أجدادنا، فحكمتنا بعدم صحة هذه القصة، وانكرناها  
وتنكرنا لها، ولم نفطن إلى أهميتها كملحمة تاريخية نسجها  
خيال أجدادنا ليملاؤوا بها فراغ حياتهم.

وكان من رواة القصة، امرأة عجوز شاعرة نذابة عمياء  
اسمها سليمه، كانت تحفظ القصة بحذافيرها، وتنشد بصوت

حنون، جميع المراثي والأغاني المنسوبة إلى أم عيد، وبذلك كانت تكتمل عناصر هذه الملحمة، في ليالي حداثتنا، حول مواعد الشتاء.

## عميان القلوب

يُحكى عن زعيم لبناني راحل أنه كان تقيّاً متعبداً يحفظ الفرائض ويقيم الصلاة في مواعيدها، لكنه كان يُنهي صلاته دائماً بالدعاء التالي: «يا غافر الذنوب وساتر العيوب كثر عميان القلوب».

## جناح الأم بيلم

عند القرويين، في لبنان، حكايات ترويحاً عجائزهم،  
حول مواعد الشتاء، وهي تزخر بالمفاهيم والقيم والأمثال  
والحكم الثمينة. وقد لا يمر وقت طويل حتى تموت عجائز  
القرى، وتختفي هذه الحكايات عن شفاه الناس.

في ما يلي حكاية ترويحاً سيدة عجوز من بعلبك:

مات معاز في إحدى القرى، عن زوجة وثلاثة أبناء،  
فاختلف هؤلاء على اقتسام الارث، ثم حَكَمُوا بينهم واحداً  
من شيوخ القرية اشتهر بحكمته وسداد رأيه. فسألهم عن  
التركة، قالوا: «إنها: بيت، وشلعة معزى، وعصا، وجراب  
زوادة، وثلاثة كلاب جعارية»<sup>(١)</sup>.

---

(١) في مفهوم العامة أن الكلب الجعاري أشرف من الكلب الفرنسي، لأن  
الكلب الجعاري يهتم بخدمة الانسان خلافاً للكلب الفرنسي الذي يهتم  
بالانسان بخدمته.



فقال الشيخ: «البيت للأم، والعصا للابن الأكبر، والجراب للإبن الأوسط، وشلعة المعزى للإبن الأصغر، أما الكلاب الثلاثة، فلكل ابن، كلب».

فنهض الابن الأصغر، حالاً، وأخرج شلعة المعزى، مع أحد الكلاب، ومشى بها إلى حيث ظن أن أخويه لن يرياها في ما بعد.

ثم قال الابن الأكبر: «ما دام لم يبقَ لي هنا ما أعتاش به، سأذهب إلى مكان آخر، في طلب الرزق». وحمل عصاه ونادى كلبه ومضى.

وهكذا فعل الابن الأوسط، الذي علّق الجراب في كتفه، ونادى كلبه وذهب في سبيله.

ثم قالت الأم: «وأنا سأذهب، كذلك، في طلب الرزق، إذ لم يبقَ لي هنا ما أعتاش به». وأوصدت باب بيتها وسافرت إلى بلدة أخرى، ومَرَّت بحقل فيه حصادون، وطلبت عملاً، فقال لها رب العمل: «اشتغلي معنا في جمع أغمار القمح ونعطيك من كل غمر شميلة»، والمثل يقول: «شميله عا شميله، بتشيع العيله».

فتنهّدت المرأة وقالت: «أنا امرأة مقطوعة وليس لي عائلة».

قال الرجل: لكن اباؤنا كانوا يقولون: «الي بيحسن فعالو، كل الناس عيالو».

وبعد عمل عشرة أيام، جمعت المرأة أجرتها من شمائل القمح، ودقَّتْها في يوم عطلة، وحملت غَلَّتْها إلى مطحنة قريبة، فطحنتها وتوجهت بالدقيق إلى قريتها، قالت: «أَتفقد بيتي وأتسقط أخبار أولادي، عسى أن أجد مَنْ يعرف عنهم شيئاً، وأعود غداً إلى عملي».

وعندما وصلت إلى بيتها فوجئت بوجود الكلاب الثلاثة ترقد أمام الباب، وقد أعيأها الجوع والعطش، لكنها ما أن أحست بمجيء المرأة، حتى هبَّت ترحب بها وتتواثب عليها لتقبّل يديها وترقص حولها وتلوّح بأذنانها.

فبكت المرأة بكاءً مرّاً، وقالت: «أيمكن أن تكون هذه الكلاب الثلاثة أكثر ولاءً لهذا البيت، من أولادي الثلاثة». وأخذت المرأة، في الحال، دقيقاً عجنته بما وجدته من الزيت في بيتها، ووضعت الملتوت أمام الكلاب، وقالت: «هؤلاء هم عيالي، لن أبرح من هذا البيت، ولن أترك هذه الكلاب، حتى ينفد ما عندنا من زيت ودقيق».

وقبل أن تغيب شمس ذلك النهار، أقبل الابن الأكبر، وقبّل يد والدته وطلب رضاها، وقال: «سافرت من بلد إلى بلد في طلب الرزق، وانتهيت أمس في خان ينزل فيه مسافرون من بلدان متنوعة، وعند المساء، جلسنا نتسامر، وأخذ كل واحد يتحدث عما سمع ورأى، وإذا برجل جليل القدر مسموع الكلمة يروي لنا إحدى الحكايات القديمة، قال

إن الاسكندر ذو القرنين، عندما حاصر مدينة حلب، سمح للأهالي أن يخرجوا من أبواب المدينة، وأن يحمل كل واحد منهم ما استطاع حمله. فخرج كثيرون يحملون الأواني والطنافس والجواهر، وإذا برجل يخرج حاملاً أمه العجوز المريضة على ظهره، وعندما سأله الاسكندر، أجاب: «لا يوجد في بيتي ما هو أثمن من أُمِّي العجوز». فأمر الاسكندر أن يعود الرجل إلى بيته مكرماً ولا يمسه أحد بسوء».

وأضاف الشاب أنه عندما سمع هذه القصة حزن وندم على ترك أمه وحدها ورجع ليعيش بالقرب منها.

ولم يكمل الابن الأكبر قصته حتى دخل الابن الأوسط وقبل يد والدته وصافح أخاه، وقال: «خرجت أطلب الرزق، من بلد إلى بلد، ومررت أخيراً في مدينة رأيت فيها امرأة، تبيع خبزاً في الشارع، فسألتها، بكم تبيع الخبز، قالت: بالحمد والثناء».

قلت: «إذن هاتي لي عشرة أرغفة، وأنا أقول لك عشر مرّات: «كثّر الله خيرك». وهكذا كان، وأخذت الأرغفة العشرة ووضعتها في الجراب، ومشيت. ثم قلت: «لا بل يجب أن أعرف قصة هذه المرأة التي تبيع الخبز بالحمد والثناء، ورجعت وسألتها فقالت إن أحد أولادها مريض وقد نذرت أن تبيع الخبز يوماً، في الشارع، لوجه الله، إلى أن يشفى ولدها».

وأضاف الشاب أنه عندما سمع قصة المرأة تذكر حنان أمه، ولام نفسه ورجع ليعيش بالقرب منها.

ولم يكمل الابن الأوسط قصته حتى وصل الابن الأصغر، ودخل وارتمى في أحضان أمه، وقال: «مشيت بشلعة المعزى من مكان إلى مكان، في الجبال والوديان، حتى بلغت وادي القرن، وكان الكلب قد تركني، فأمسيت وحدي، وإذا برجل شيخ يناديني عن جانب الطريق: «أيها الولد، كيف تتجراً على اجتياز هذا المكان، بهذا القطيع من الماعز، ولا عصا في يدك ولا كلب يعبر أمامك ولا رفيق لوقت الضيق؟».

قلت: «كان معي كلب، تركني أمس، ولي اخوان تركتهما حتى لا يقاسماني ما قسمه الله لي».

ورويت للشيخ قصتي مع أخوتي، فقال: «يا سبحان الله... الكلب استفقد ورجع يتفقد أخويه، وأنت تركت أخويك كأنهما غريبان عنك، صحيح! بنادم أسود رأس، كانت النصيحة بجمل، صارت بلاش، ما حدا عاد يسمع نصيحة حدا».

فقلت له: «إنصحنى بما ينفعني وأجرك على الله».

قال: «نصيحتي الأولى: أمك ولا يهّمك!»

نصيحتي الثانية: «أهلك ولا تهلك!»

نصيحتي الثالثة: إذا انوجعت ما تقول «آخ»<sup>(١)</sup> إذا ما كان عندك أخ».

قال الشاب: «وعندما سمعت نصائح الشيخ انتبهت وأدركت مبلغ حماقتي، وشكرت الشيخ وقفلت راجعاً بشلعة المعزى، لتكون لنا جميعاً، ونعيش معاً ولا يفرق بيننا غير الموت».

فقامت المرأة عندئذٍ، وشكرت الله وباركت أبناءها وقالت: «فليذهب أحدكم الآن، ويستدعي الشيخ الذي تولى قسمة التركة في ما بيننا، لنسأله عن حكمته في قسمته».

وعندما حضر الشيخ سأله، فقال: «العصا للابن الأكبر ليرعى أخويه ويكون مسموع الكلمة موفور الكرامة في عشيرته، والجراب للابن الأوسط، ليتولى شؤون البيت وتأمين

---

(١) في مفهوم العامة أن كلمة «آخ» للتوجع، تعني مناداة الأخ للاستنجاد به،

ومن هنا ما جاء في أحد المواويل البغدادية:

لا تأكل التمر إلّا من جنى نخلك

ولا تركب السبع، ولو مثل الجمل ناخ لك

ولا تأمن الدهر، مهما طواعك دخلك

يلعن أبو عيشة من بعدها دخلك

ولا تشتكي علتك، حتى إلى نخلك

شو نفع قوله «آخ» ولا أختأ ولا أخ لك



جناح الأم يعلم

احتياجاته. أما الابن الثالث فلكونه الأصغر بين الأخوة،  
توجّب عليه أن يرعى معزى العائلة، وأما البيت فللأم، حتى  
إذا تفرّق الأبناء وبقيت الأم في البيت، لا بد أن يعودوا  
ويلتمّوا في ظل جناحيها، لأن المثل يقول: «جناح الأم يلمّ».

## لا تعيري ولا تستعيري

أمثال العامة عن «العيرة» كثيرة، مثل: «العيره موكل فيها  
بليس» و«ثوب العيره ما بيدقي» وغير ذلك.

لكن أبلغ ما سمعت في هذا الموضوع، كان على لسان  
إحدى عجائز «عين التينة» قالت في حديث إلى ابنتها:  
«يا بنتي، مالك ومال العيره، سيّك كانت تقول: لا تعيري  
ولا تستعيري حتى الروبه والخميره».

## وجناح الأب طيار

عند العامة مثل معروف متكامل في مبناه ومعناه، هو:  
جناح الأم ييلمّ وجناح الأب طيار.

فإذا بلغ الأولاد أشدهم وخرجوا في طلب الرزق، قيل  
إنهم «طُيروا» وذلك تشبيهاً لهم بفراخ الطير عندما تبدأ طيرانها  
من العش.

والذي يراقب عصافير الدوري، يلاحظ أن العصفور  
الأب، عندما يكتمل نمو الفراخ في العش، يبدأ بتدريسيها على  
الطيران، فيفتح جناحيه أمامها ويطير قليلاً، فلا تلبث أن  
تطير مثله وتتهاوى أولاً على الأرض، ثم تطير بعد عدة  
محاولات، وفي هذه الأثناء تبقى الأم قرب العش حزينة على  
فراق فراخها.

ويحدث أحياناً أن تصاب الفراخ بالقراد، وهو من  
الطفيليات، فإذا ضعف أحد الفراخ، لإصابته بالقراد، وعجز  
عن الطيران، يبقى وحده في العش، ويسميه العامة «قراد



العش»، ويطلق العامة هذا اللقب على الابن الأصغر في العائلة.

ومعنى المثل حرفياً، أن الأم تلم أبناءها حولها، والأب يفرّقهم، كما يفعل عصفور الدوري، ولذلك قيل: «جناح الأب طيار».

غير أن العامة يستعملون هذا المثل للتأكيد على أن الأولاد، إذا مات أبوهم عن أمهم، عاشوا في أكنافها، فإذا ماتت أمهم، عن أبيهم تفرّقوا.



فقر وهداوة بال مكسب بلا رسمال

## إن جئوا ربك، غفلك ما ينفك

حكى أن وجيهاً قروياً أرسل ابنه إلى بيروت ليتعلم في إحدى مدارسها. فانخرط الولد في إحدى الفرق الموسيقية، وأهمل دروسه، ولم يتعلم سوى التزمير بالمزمار.

وعاد الولد أخيراً إلى قريته ومعه المزمار، وجلس في المساء على شرفة بيت أبيه، وأخذ يلعب على المزمار، فأقبل إليه بعض الفتيان معجيين. ثم كثر عدد الزائرين المحبّذين، فقال أبوه: «تسوكر مستقبل الصبي، يا أم حنا، الجايين لعنا أكثر من الراجحين، هيك بتكون الوجهه».

وأخذت حفلات المزمار تتكرر كل مساء، وتزايد عدد القادمين والمؤيدين، فقلقت أفكار بعض وجهاء القرية الآخرين:

- «بوحنّا بدّو يعمل وجيه على صوت المزمار، لازم نلحق حالنا ونللم ولدنا، جاب بوحنّا مزمار، لازم نحنا نجيب دربّكه، بكره ما منعود غمون على ولادنا إذا «أخذوا كسرّه» على بيت بوحنّا».

وهبط، في اليوم التالي، أحد رجال القرية إلى بيروت

واشترى دربكة، وبدأ في الحال تصريف الأعمال: فاذا هبَّ هؤلاء إلى التزمير ردَّ عليهم أولئك بالضرب على الدربة - وما يردُّ الرطل إلا رطل ووقيه.

ولم يمضِ سوى قليل من الزمن حتى تشيَّع نصف أهل القرية إلى حزب الدربة، والتحق النصف الآخر بفريق المزمار، وتعطلت مصالح القرية، لانصراف هؤلاء وأولئك إلى مداومة الدقِّ والتزمير وممارسة أعمال الاستفزاز والتشهير.

رجل واحد في القرية لم ينحرف في تيار الدقِّ والتزمير.

بقي الرجل على الحياد - كبر عقله - فحاد عنه الجميع. نبذه الفريقان، تهجموا عليه بعنف: «يا معنا يا علينا».

واعتمد الرجل بحياده، ثابر على عناده، عاش وحيداً حتى خشي أن يموت مكسور الخاطر.

وفي ذات صباح شوهد الرجل يشدّ طبلاً على تارة غربال عتيق، فسألوه: «شو عدا مما بدا حتى قررت أن تصير طبّالاً، في آخر الزمان؟»

قال: «إن جئتوا ربعك، عقلك ما بينفعك».

فجرى جوابه مثلاً.

## اسد ينجينا من حَلَّةِ الحبل

إذا وقع مشكل، وخشينا أن يتطوّر إلى مشاكل، نقول: «الله ينجينا من حَلَّةِ الحبل». الحوري يوحنا سكّاب، في إحدى عظاته، يروي لنا قصة هذا المثل:

كانت هنالك قرية تعيش في سلام ووثام، وكان عند الشيطان ابن بلغ سن الرشد، فأراد الشيطان أن يمتحن شيطنة ابنه، وطلب منه أن يستعمل أسهل وسيلة، لإثارة أكبر فتنة في القرية الآمنة.

وما هي إلا ساعات، حتى نشب خلاف في القرية، تطوّر إلى شجار، فعراك، انقسم به أهل القرية فريقين متحاربين، فاستدعى الشيطان ابنه، وسأله ماذا فعل حتى أثار الفتنة في القرية، قال: «حللت الحبل، وتركت الباقي على أهل القرية».

وأضاف الشيطان الصغير، انه رأى إحدى نساء القرية تحلب بقرة، بعدما «منّعت» عجلها وربطته جانباً، فتسلل

الشيطان الصغير وحلّ ربطة الحبل، فأفلت العجل وركض  
ليرضع من ضرع امه، فقلب سطل الحليب، فغضب زوج  
المرأة واتهمها انها لم تحكم ربط الحبل جيداً، حتى أفلت  
العجل.

وضرب الرجل زوجته، فانتصر لها إخوتها وضربوه، وجاء  
اخوة الرجل وابناء عمه، واشتبكوا مع اولئك، وما لبثت  
المعركة أن شملت جميع أبناء القرية.

من ذلك الوقت، صرنا نقول، كلما وقع مشكل، وخشينا  
أن يتطوّر إلى مشاكل: «الله ينجينا من حلّة الحبل».

## إذا تغيّر مجرى الريح حطّ راسك تحت جانحك واستريح

نائب سابق، تجري رياح السياسة، في غير اتجاهاته،  
سألناه رأيه في الظروف الحاضرة، قال: أنا اليوم مثل ما قال  
مالك الحزين: «إذا تغيّر مجرى الريح، حطّ راسك تحت  
جانحك واستريح!».

القسم السادس

جرب الزوادة





## هي ليله يا مكاري

خرج أبو جهجاه، أمامي، من بيت المختار، ومشيت وراءه.

وقبل أن يصل بي إلى بيته، صاح من بعيد: يا جهجاه عدي «غمروش» عالقبو، معي «إجر غريبه».

ثم التفت إليّ، وقال: كلبنا «غمروش» طبعو نكد.

فقلت في نفسي، إذن أنا الآن «إجر غريبه» في قرية عين القاق وسأبيت ليلتي تحت رحمة «غمروش».

ثم عزيت نفسي بأن من الجائز تسمية الشيء باسم الجزء، وبأن الكلاب تميّز الغرباء من روائح أرجلهم، لا من روائح أفكارهم التقديمية واهتماماتهم السياسية.

غير أنني لبثت خائفاً أن يكون أخونا «غمروش» اكتسب شيئاً من فطنة صاحبه، فيشتلقني ابن حكومة، وهنالك الطامة الكبرى.

وبعدما أدخلني أبو جهجاه إلى بيته، وأجلسني على

الدشك، ولج باباً داخلياً، إلى حيث زوجته، وسمعتة يقول لها: «دَقْدَسْتُ معو كثير، ما قدرت إقفرو، بس أغلب الظن إنو نصراني من بلاد المتاوله».

فتنحنت أم جهجاه وهمدرت: «مقلّ كشك والسلام!». فبلعت ريقى، وقلت: «هذا حق، فكل حاجب له واجب، كما يقول المثل».

بيد أني ما جئت، الليلة، إلى قرية عين القاق لأتعى كشكاً عند فلان من الناس، بل جئت، بوصفي موظفاً، لأشرف غداً على الانتخابات النيابية في القرية، ودعاني الأخ الكريم أبو جهجاه، للمبيت عنده والمثل يقول: «هي ليله يا مكارى!».

وبدأ أبو جهجاه يغيب ويحجب:

- صحن زيتون، وشقلة خبز صاج.

- إبريق فخار، وورزمة بصل أخضر.

- صحن لفت مكبوس، وصحن باذنجان مكدوس.

وما أشبه من حواضر البيت.

وكان كلما غاب وجاب، يوجّبي بمجاملة:

- «عَدَّ وِمَدَّ تا شرفتنا».

- «حضرت وواجبك ما حضر» .

- «هذا من قيمتنا مش من قيمتك» .

وجاءني، أخيراً بقصعة من الكشك المجبول بالشوم البلدي الحار، الذي ما زالت رائحته معشعشة في مناخيري .

ثم جلس قبالي، متأدباً، ومدَّ لي حديثاً: «الحرمة نفَس يا أفندي، إذا كان نفَس الحرمة نظيف، يكون أكلها طيب هذي اللي عندي، مثل ما قال المثل: «إيدها مريّه ونفسها رضيّه» .

وتابع أبو جهجاه، «مرقي الأولى، الله لا يوجِّهها الخير، خربتلي بيتي، زعلت مني عا شي ما شي، وطلبت الطلاق. وتنازلت لي عن كل حق ومستحق. لكن أخوك أبو جهجاه ما استليق على نفسو، يقولوا بو جهجاه مش قد الخاطر. رحت استرضيتها ودفعتلها خمسين ليره ذهب. ويس رجعت عالييت، طلقته ودفعتلها الحق والمستحق وثلثين الباطل. ولما سألوني، شو كان جابرک تدفع الطاق طاقين وثلاثه، قلت: حتى العين ما تعلی فوق الحاجب» .

من وقت إلى آخر، كنت أسمع نحنوحة في الداخل، ثم يدأ بيضاء تمتد من الباب الداخلي بجنطاس من الدبس أو بصحن من التين المطبوخ، فيتناوله أبو جهجاه في رفق، ويعود إلى الكلام:

- «يرجع مرجوعنا للحرمة، بتعرف يا أفندي، ليش الزلي بيختلف مع حرمتو؟».

ولم يترك لي أبو جهجاه مجالاً للإجابة، لو أردت، بل افترض سلفاً أني لا أعرف، وتبرّع لي بالجواب، قال: «الزلي بيختلف مع حرمتو، لأنو بينسى إنها حرمة، بيخمنها زلي، بيحكىها بالمعقول، الحرمة أيمتي كان عندها عقل حتى تفهم بالمعقول، الحرمة يا أفندي، مثل البسينة ما بتفهم إلا بالحلمسة».

ثم امتدّت اليد البيضاء مجدداً، من الباب الداخلي بصحن من كبوش التوت، جاءني به الأخ أبو جهجاه، واستأنف: «الدجاجة، يا أفندي إذا فانت عالييت، بينفتل دماغها، ما بتعود تعرف كيف بدها ترجع، وهيك الحرمة، إذا تمذنت، بينفتل دماغها، وبتضيع ماخوليتها، ما بتعود تعرف خط الرجعة».

وكان أبو جهجاه، يبادرني بالسؤال، ويقوطب عليّ بالجواب، فيغلق أمامي أبواب الكلام - تلطفاً منه - ليفسح لي في الطعام، قال: «حضرتك بتكون قريان كتاب النصارى، بتعرف ليش الله غضب على آدم وطرده من الجنة؟».

ثم قوّد عليّ وأجاب بسرعة: «أنا بفهمك ليش، لأنو طاوع حرمتو، الله طرده من الجنة!».

وأضاف أبو جهجاه: «دخلك! ما زال هيك يقول كتاب  
النصارى ليش حتى النصراني بتفوت مرتو قدامو وبتشرب  
القهوه قبلو وبتقعد عالكرسي قبالو وبتحط إجر على إجر؟».

وكنت حينئذٍ شبعث وصار في مقدوري الكلام، وكُنْتُ  
أريد أن أقول للأخ أبو جهجاه: «معك حق، أفضل شيء  
للمرأة أن تبقى يداً بيضاء ممدودة من الباب الداخلي، لا أكثر  
ولا أقل».

لكن أبو جهجاه كان عاجلني بسؤال جديد، قال: «صار  
بيناتنا خبز وملح، صار فينا نحكي بصراحه، بدّي إسألك  
سؤال، إنت ابن حكومه عتيق، بعدك بتعرف لقمة الحلال  
من لقمة الحرام، بما مثل ما قال المثل: «كل أخضر عند  
العرب تين؟».

ثم استدرك وقال: «مالنا ومال الحكومه، مرّه واحده لعبوا  
بعقلاتي، قالوا إن المستشار الفرنساوي بدو يعين حراس (كارد  
مويل) أخذت ولادي الثلاثه لعند القائمقام وقتلوا: عندي  
هاللاث سباع، كل واحد بيقرط راس الحيه، بدّي أوضعهم  
تحت تصرف سعادة المستشار. فأخذ القائمقام يتمايزهم،  
واحد بعد واحد، ثم قال: سلامة معرفتك، سعادة المستشار  
ما بدو من هالبضاعه، بدو واحد مثل الأطرش بالزفه، وواحد  
لا بيهش ولا بينش، وواحد لا يقطع شعره ولا يفلق بعره،  
إذا كان عندك من هالبضاعه، جيب. قلت: «لا سمح الله

يكونوا ولاد بو جهجاه كماله عدد. إذا كان سعادتو بدو  
عسكر يكون خيال صحرا مش لازم يحملهم سلاح، السلاح  
ب إيد.. . بييجرح».

وكانت اليد البيضاء امتدت عندئذٍ من الباب الداخلي،  
بفراش ولحاف ومخدّتين، حملهم أبو جهجاه برفق إلى إحدى  
القراني. وقال: «نحن جماعة، حياتنا بسلاحاتنا، وإيدنا مدموم على  
«بيت النار»... وأدار ظهره ومضى بدون استئذان.

وكان التعب قد أنهكني وغلبني العاس فاندسستُ في  
الفراش كيفما تيسّر. لكن الرجل ما لبث أن عاد ومعه بارودة  
«أم حديدن» انكليزية حشاها «مشط خرطوش» ولقحها إلى  
جائبي في الفراش وقال: «حتى تنام نومة رجال».

ومضى دون أن يمهلي حتى أسأله أي سؤال، فتمسمرتُ  
في الفراش لا أتململ ولا أتخلفص، مخافة أن تقع يدي على  
«بيت النار»، ورحتُ أتعوّد وأستعيذ وأتذكّر وأستعيد بعض  
الصلوات التي كانت والدتي تُعلّمنيها قبل النوم في أيام  
حدائتي. وطار النوم من أجفاني حتى الصباح حين صابحني  
أبو جهجاه وسألني كيف نمتُ ليلتي، قلت: «بألف خير».

ثم استطردتُ: «ولكنني أسألك يا أخ أبو جهجاه، لماذا  
أتيتني ببارودتك هذه ونيمتها معي في الفراش مادمتُ أنا  
مطمئناً في حماك.

قال: «سلامة معرفتك، لكي تتأكد أنك لا تنام تحت رحمتي، بل أنام أنا تحت رحمتك... والمثل يقول: «الضيف سيُد وأهل البيت عبيد».

## فَقِيرٌ تَعِينُو، وَلَا غَنِيٌّ تَخُونُو

يحكى أن رجلاً كانت عنده ابنة وحيدة جميلة، تقدّم لخطبتها شابان: الأول غني كرحوت والثاني فقير سَرَبَسْت، فأعرض الرجل عن الشاب الغني وزوّج ابنته إلى الشاب الفقير.

وعندما سُئل الرجل لماذا فضل مصاهرة الفقير المحترم على مصاهرة الغني النذل، قال: «فقير تعينو، ولا غني تخونو».

## ألف قلب ولا غلبه

كنت في الجنوب وانقطعت قرب «القعقية»، فمرَّ بي رجل يركب على حمار، وتبرَّغ لي بنصيحة، قال: «المفرق يبعد شرب سيكاره، هونيك شي بوسطه بتلمك».

فأشعلت آخر سيكارة في علبتي، وتوكلت على التقادير، ومشيت.

وبعد مشي ساعتين، وانتظار نصف ساعة، مرَّت إحدى البوسطات ولتني عن الطريق، فقعدت في منتصف المقعد الخلفي.

قلت، «قعدت»، والأصح أن معاون سائق البوسطة، وضعني هناك، كما توضع الأشياء، لأنني حينئذٍ، كنت شيئاً ملموماً عن الطريق، يمكن وضعه أينما كان، ورحم الله والدتي التي كانت تقول: «المرمي لا تلمو وإن لميتو لا تشمو!».

بل، الأصح أن معاون المذكور، كان أنزلني إسفيناً بين رجلين مترهلين، في المقعد الخلفي من البوسطة، بحيث لم



يكن في مقدوري أن أتخلفص لو أردت، فلبدت.

لكن الرجل الراكب عن يميني ما لبث أن تخلفص ودحش يده في عبّ، وقبل أن يسحبها قال: «منين حضرة الأخ؟».

قلت: «منكم وفيكم».

فارتاحت ملامح الرجل، وانشقّ شدقاه عن أربعة أسنان ملبّسة ذهباً، وقال: «أهلاً وسهلاً». وسحب من عبّ ضبوة جلد فيها دخان فلش، مهروم باليد، ولف منه لفافة، دحكها بأصابعه حتى استدارت، وأزاح شاربيه، في رفق، عن شفّتيه، وألصق اللفافة بلباعه، وقدمها إليّ في لطف، ثم لفّ لنفسه، لفافة غليظة، فيما كان يتابع حديثاً كان بدأ به قبل مجيئي، قال: «- ما وصلنا لعند شقيف أم نوح، حتى قال الكريم خوذ، الطالع من الأرض أكثر من النازل من السماء، وحبة البرد قد الجمشه. نحنا بعدنا بأيلول، قلت، خرب بيتي، وإذا غضب الله على قوم جعل صيفهم شتاءً وشتاءهم صيفاً».

وسحب الرجل مضّة عميقة من سيكارتة الغليظة، وتابع قال:

«... بلاطول سيره، لطينا تحت الشقيف. ما انقطعت النقطة حتى نفدت دورية، أعوذ بالله، قلت، إذا سبق

سلامهم كلامهم، كل خطاب وإلو جواب، وإن قالوا: «كاني ماني»، لكل حادث حديث...».

فقاطعه راكب آخر قال: «الحاكم مستحكم، كيف ما ضرب بيصيب»، والمثل يقول: «ابن الحكومه، إن صادقتو أكلك وإن عاديتو هلكك!».

لكن صاحب الأسنان المذهبة تابع كلامه: «صحيح! إذا غضب الله على قوم جعل صيفهم شتاءً وشتاءهم صيفاً، وإذا رضي الله على قوم كفاهم شر الحكومة والحكيم، مش هيك يا حج نواف؟».

أجاب الذي إسمه الحجّ نواف، وكان يجلس عن شمالي: «هيك وستين هيك!». ثم كرر بمسبحة كانت في يده، وأضاف: «وأغلب الظن أن كلمة حكيم مشتقة من حكومة، لا من حكمة، والله أعلم».

فالتفت إلى الورا رجل أجرودي كان يجلس أمامنا، وقال: «وصلتلك دعوه عالمهرجان يا حج نواف؟».

فقبض الحجّ نواف على حبات مسبحته، ثم كرر، ثم فكر، ثم تتم، ثم قال: «وصلتني دعوه. أهل الضيعه رايجين، بس أنا مش رايح، ما بيتعرفوا علينا، إلا إذا احتاجونا، اللي معو خمس ليرات بيحطها، ويبرجع آخر النهار بلا أكل، بيصير فينا مثل عزيمة الحمار عالعرس».

فقلت امرأة ملثمة كانت في الزاوية: «بلاها يا حج، نسيت شو تحشمت حتى عيّنوك إبنك؟».

كانت البوسطة مزولعة بألوان براقّة، وفوق يمين السائق مكتوب: «هذا من فضل ربّي» وفوق يساره صورة عين، مكتوب تحتها: «عين الحسود تبلى بالعمى».

وكان سائق البوسطة يتحدث، على طول، في صوت أجش مشوش، في موضوع ذي شجون، مع راكب في المقعد الثالث يلبس زيّ رجال الدين، سمعته يقول للسائق: «راحت الله لا يردّها، أحسبها صرمايه وشلحتها من إجرك، أكثر من النسوان ما خلق الله».

وكان معاون سائق البوسطة يُحرّك ويُمزّك، في عرض البوسطة وطولها، ويعطي أذنه للحديث، فتنخّع وبصق على الأرض، ثم داس البصقة بقدمه، متشفياً، وقال: «يا ما تحت السواهي دواهي!».

ويعود رجل الدين فيسأل السائق: «وشو عمل رئيس البلديّة؟». فيجيب، نيابةً عنه، راكب: «رئيس بلديتنا صح فيه قول المثل: «مثل عجائز النور، قِلّة تدبير وثقله عالحمين».

وكانت البوسطة تسير بنا، ولا تلبث أن تقف فتلتهم عن الطريق، أشياء كأنها بنادمين، وبنادمين كأنهم أشياء، ثم تعود فتستفرغهم تباعاً على جوانب الطريق.

خلا أحد المقاعد الأمامية، فنادى معاون البوسطة:  
«شَرَف يا حج نَوّاف، مقامك محفوظ» فقام الحج نواف  
وتصدّر المقعد الأمامي، دون أن يلتفت ذات اليمين أو ذات  
الشمال.

على مقعدنا الخلفي، نحن جماعة باش بزق البوسطة،  
كان يتعقّر، قرب الباب، رجل مقشمر، غليظ الرقبة، يشبه  
صوته صوت كركعة الربايع، ترحرح، عندما نهض الحج  
نواف، وقال: «المثل يقول: إقعد أعوج وإحكي جالس»،  
حتى بالبوسطة في مقامات وكرامات، لو ركب معك شي بِيك  
وَيَن كنت بتحطو، يا ابن بو طلامي؟».

وأصلح الرجل المقشمر دَكَّة شرواله، وتابع كلامه: «يا  
جماعه! أنا بشارط، بكره الحج نواف أول واحد بيوصل  
عالمهرجان، ويفقع خطاب من كعب الدست...»

فقاطعت المرأة المثلثة: «الحج نواف مسمار أقطم، وعيلتو  
شلعوطين ونص، مجبور يمشي إجر بالبور وإجر بالفلاح»،  
والمثل يقول: «الإيد اللي ما فيك تعضها، بوسها وإدعي  
عليها بالكسر».

ثم تقلقز جاري، صاحب الأسنان المذهبة، وكان عقله  
ما زال داقراً عند حديث الدخان، والحكومة، فقال: السنه  
الموسم مقبل، بس الله يرد عنا ولاد الحرام، كل أتعابنا

لغيرنا، وشغلنا بلا فائدة، مثل رعيّة الكلاب، غبره وتخزيق ثياب...».

فقال الأجرودي: «الله يطوّل عمر الحكومه، رئيس الحكومه قال إن قلبو دائماً مع أهل الجنوب وشو عاد يهمنّا».

أجاب صاحب الأسنان المذهبة: «بالحقيقه، الحكومه أم حنونه، بس نحنّا، مات أبونا وتجوّزت أمنا زلمي غريب، ومين ما أخذ أمنا يبصير عمنا».

فهزّ الأجرودي رأسه وقال: «على كل حال، نحنّا أيتام، بس الحقيقه إن الحكومه خالتنا مش أمنا، والمثل بيقول: «الخاله مرة الأب لا بتحب ولا بتنحب».

كانت البوسطة، كلما مشت بنا، نزل منها بعض الركاب، حتى خلت المقاعد الأمامية، تقريباً، إلّا من الحج نواف الذي أخذ مجده، فانجعى على جنبه الأيسر، وأخذ غطّة، في حين كان الرجل المقشمر، في مؤخر البوسطة، يناديه من وقت إلى آخر:

- يا حج نواف، نوم الهنا.

- يا حج نواف، لاقينا بكره عالمهرجان.

- يا حج نواف، «ألف قلبه ولا غلبه».



أمر من المرّ حكي لا ينفع ولا يضرّ

# أنكلزبي تا أنكلزك

كنا في رحلة سياحية إلى أوروبا تضم أربعاً وأربعين امرأة، عدا الرجال.

في مدينة فينا أردت أن أعرف رأي مدير المطعم فينا، قال: «لعلكم من الشعوب المتعايطة، التي تعيش حول البحر المتوسط».

هذا صحيح! لأن الأربع والأربعين المرأة كن يتعاطن في استمرار، يمزحن ويضحكن جميعاً، في الوقت نفسه، ولا من يسمع ولا من يفهم، وكان كلامهن أقرب إلى الصيصعة والصهصنة مما هو إلى المحادثة وتبادل الرأي.

وفي لندن حضرت سيدة إنكليزية من نكون، قالت: «أنتم العرب، علامتكم هو اللوطعة على الأرصفة». وهذا أيضاً صحيح! فنحن غالباً نلوطع على الأرصفة، ولا نجيد الهوشلة في الشوارع مثل الأوروبيين، ولا الهوترة، كيفما كان، مثل الأميركيين، الذين رأينا شراذم من شبانهم وفتيانهم المهوترين في مختلف أنحاء أوروبا.

وفي باريس - مرتبط خيلنا - سألنا مستخدماً في الفندق،  
عن محلات لافاييت للثياب الفخمة، فحدفنا المستخدم إلى  
دكاكين هزيلة لا يطررها سوى شباشلة البشر. لعل تصرفاتنا  
ومظاهرتنا البريئة كانت أقرب إلى الشبشلة، مما هي إلى  
الأناقة.

أما في روما، فقد طلبت من مدير الفندق، عندما  
ودعته، أن يقول رأيهِ فينا في صراحة، قال: «هنيئاً لكم  
أصالتكم، أنتم اللبنانيين! إذ ما زال في مقدوركم أن تفرحوا  
وتمزحوا وتضحكوا ملء أفواهكم، وأن تُصلّوا في السر  
والعلانية، وأن تتأملوا».

وفي مدينة فلورنسا، أحد مقالع عظماء الرجال في الدنيا،  
مدينة ميكال أنجلو ورافايل ودانته ومكيافلي وليوناردو دا  
فنشي وروسيني وكاترين دوميدسيس وسواهم.

في تلك المدينة تغدّينا في مطعم ازدانت جدرانهُ وسقفهُ  
برسوم رائعة الجمال، لكننا لم نستطع أن نفهم مما يتألف  
الطعام الذي تناولناه، فتوحّجت، عندئذٍ، على شيش لحم  
مشوي في سوق الخان.

وسوق الخان، هذا، هو مكان غير مأهول في خراج  
حاصبيا، تقام فيه سوق شعبية، كل يوم ثلاثاء، حيث تعرض  
للبيع جميع الحاجات تقريباً، ويؤمّه عدد كبير من سكان القرى  
المجاورة.



ولسوق الخان معانٍ ومغازٍ وألوان فولكلورية لا تلاحظ في مكان آخر.

وقد خطر لأحد الناس أن انتحى مكاناً في أحد أطراف السوق، يشوي فيه اللحم في الهواء الطلق، ويبيع شيش اللحم المشوي بربع ليرة، ثلثه لحم وثلثه شحم والباقي بصل وبندورة.

ويشاهد هنالك، غالباً، عدد من الناس حول بائع اللحم المشوي، وفي أيديهم أرغفة الخبز، واقفين ومقرفصين، ومقنبزين على الحجارة المرمية، هنا وهناك، أو مبشطين حول النار يتلهمجون على رائحة الدهن المحروق، ويتضمخون بدخان لحسيس نار الحطب المحروق، إلى أن يأتي دورهم.

\* \* \*

سيدة إنكليزية في لندن اشترينا منها جزدان جلد، وأرادت أن تعرف أي دين نعتق، فرويت لها قصة مواطنها المبشر الإنكليزي الذي جاء إلى لبنان، في القرن الماضي، مبشراً بالمذهب البروتستنتي، وحلّ في إحدى القرى داعياً الناس إلى الخلاص، في طريقته الجديدة، فلم يُقبل أحد إليه.

فعمد أخيراً إلى اكتساب قلوبهم، عن طريق جيوبهم، وأخذ يدفع إلى كل واحد منهم، يقبل دعوته، ليرة إنكليزية ذهباً كل شهر.

عندئذٍ تكاثر عدد المؤمنين به والمتحمسين لدعوته .  
فاعتقد أن بذرة الإيمان نبتت في قلوبهم ، وإن حقل الرب أثمر  
في نفوسهم فكفّ عن دفع الليرات . مستعيضاً عنها بالصلوات  
والابتهالات .

فإذا المؤمنون الجدد ينفكون عنه واحداً بعد الآخر وعندما  
سألهم عن سبب فتور حرارة الإيمان في قلوبهم أجابوا :  
«أنكلزتنا أنكلزنا لك . بطلت تأنكلزنا بطلنا تأنكلزنا» .

وأضفت لبائعة الجزادين : «ونحن يا سيدي من الذين  
تأنكلزوا في ذلك الزمان ، عن يد جدك أو خالك أو عمك ،  
ذلك المشر الإنكليزي الخالد الذكر . لكننا ما زلنا متأنكلزين  
إلى تاريخه . فصار لنا طول وفرق حساب قديم ، عند بني  
قومك . أيتها السيدة المحترمة» .

فحاولت الإنكليزية أن تضحك وبدا لنا أنها لا تحسن  
الضحك . ربما لأنها لم تضحك منذ وقت بعيد . وكل ما  
استوفيناه من حقوقنا القديمة عند الإنكليز ، ثمن أنكلزتنا  
لوجه الله منذ أكثر من قرن من الزمن ، ان سيدتنا هذه  
تكرّمت علينا باسمها الكريم - تشرفنا يا مس روزبراون - أما  
مراعاتنا في ثمن الجزدان فغير واردة ، لأن «بزنس إز بزنس» .

فلعلّ الإنكليز خسروا امبراطوريتهم عندما بطلوا  
يؤنكلزوا .

## فسيق الطريق ما هو صديق

منذ نحو نصف قرن. ودّع شاهين فاعور والديه مهاجراً  
إلى المكسيك. ومَرّت به السفينة في مرسيليا فنزل يتفرّج على  
أهلها. ورأى رجلين يتشاجران والناس يمرون ولا يتدخلون  
ولا يتمحشدون - ولا من يحزنون.

فدبّت النخوة اللبنانية في عروق الرجل ، وأسرع يمسك  
الواحد ويدفع الآخر ، ويقف بين الرجلين ، ويشتم الإثنين  
معاً - في العربية طبعاً - حتى أكل ثلثين القتلة.

أخيراً، حضر رجال الأمن واستاقوا الرجلين واستاقوا  
شاهين معهما إلى المخفر، حيث ما لبثوا أن أفرجوا عن  
الرجلين، واحتفظوا به إلى اليوم التالي لعدم وجود ترجمان،  
ولكون رجال الأمن لم يكن في وسعهم أن يفهموا لماذا يتدخل  
رجل غريب في ما لا يعنيه.

وعندما أفرجوا عنه في اليوم التالي كانت السفينة أقلعت،  
فانقطع شاهين في مرسيليا، حتى تيسّرت له العودة إلى لبنان.

ولكن، لهذه القصة ذنب، يقول شاهين إنه، بعدما خرج من السجن دخل مطعماً وتغذى بفرنك واحد، ثم قضى حاجته في أحد المنعطفات، فغرموه فرنكين، فودّع مرسيليا بيتين من الزجل:

عشنا بفرنسا يومين  
وعرفناها عالحالين  
بتغدى فيها بفرنك  
«وبتقضيها» بفرنكين

\* \* \*

كانت رحلتي، مؤخراً إلى فرنسا مع فريق يضم شتياً من اللبنانيين، وكانت دليلتنا في قصر فرساي شابة فرنسية شُموس قطعت شباحتها وبرطعت أماننا في أروقة القصر، فقَصّرنا عنها، ورحنا قطاعيع، فضاع بعضنا وتشرذم البعض في عجيج خلق الله المتدافشين بين التحف والتماثيل والأعمدة المتوّجة.

ووجدت نفسي مقرفصاً بين قوائم حصان عظيم يتقعقر فوق صهوته لويس الرابع عشر، فناديتُه: «يا صاحب الجلالة، أين كنت تقضي حاجتك في هذا القصر الذي لا بيت خلاء واحداً فيه؟».

ثم تلهمجت بنصيحة إلى زائري قصر فرساي أن يعصموا!

وتذكرت ما قيل عن أحد فلاسفتنا، عندما كان في نيويورك، وأراد أن ينتقم من المديّة، فعقد النية على أن يقضي حاجته في حرّية - على الطبيعة - ربي كما حررتني - واستأجر سيارة بأربعين ريالاً إلى خارج نيويورك حيث تمتع بقضاء حاجته في الهواء الطلق، وهو يتأمل!

وعندما صحوت من تأملاتي هذه وجدت أني أنا الآخر انقطعت بين يدي حصان لويس الرابع عشر، وأن جميع رفاقي سفرتي تجاوزوني وأهملوني، فتذكرت مثل عمي بو ضاهر: «رفيق الطريق ما هو صديق»، وتولّيت أمري بنفسي.

### لا تشتري حمّاره وأمها بالحاره!

أبو خليل طشطش، فقير إلى رحمته تعالى، لكنه غني جداً بمأثورات الكلام.

سمعت رجلاً يشكو إليه أمره، قال إنه قلماً عاد إلى بيته ووجد زوجته فيه، وعندما تعود، تقول إنها كانت عند أمها.

فقاطعه أبو خليل: نسيت شو قال المثل: «لا تشتري حمّاره، وأمها بالحاره، بس تفلت الواحد، بتروح لعند الثانية».

## إِذَا أُنْ يَمُوتُ أَحْمَارُ وَإِذَا أُنْ يَمُوتُ الْمَلِكُ

يُحْكِي أَنَّ أَحَدَ مُلُوكِ الزَّمَانِ، كَانَ عِنْدَهُ جَحْشٌ كَرَّ ابْنُ  
أَتَانٍ، رَبَّاهُ فِي قَصْرِهِ مَرَى الدَّلَالِ، وَكَانَ يُطْلِقُهُ بَيْنَ جَلَّاسِهِ  
فَيَدْخُلُ إِلَى الدِّيْوَانِ أَمَامَ الْوُزَرَاءِ وَالسُّفَرَاءِ وَالْأَعْيَانِ وَيَنْهَقُ  
وَيَتَمَطَّى بِدُونِ اسْتِئْذَانٍ، فَيَنْشِرُحُ خَاطِرَ الْمَلِكِ وَيُشْرِقُ وَجْهَهُ  
بِالرِّضَا وَالِاسْتِحْسَانِ.

وَكَانَ بَعْضُ كِبَارِ الْحَاضِرِينَ، مِنْ السَّادَةِ الْمُتَمَلِّقِينَ،  
يَبَادِرُونَ إِلَى الْقَوْلِ:

- خِزَاةُ الْعَيْنِ عَنْ هَاجِجِ الْجَحْشِ، مَشْ نَاقِصُو إِلَّا يَحْكِي.  
- يَا عَمِي! جَحْشُ الْمَلِكِ مَلِكُ الْجَحَاشِ، وَكُلُّ شَيْءٍ عَلَى  
بَابِ بَيْشِبَهٍ صَحَابُو.

- لَازِمُ مَوْلَانَا الْمَلِكِ يَحِطُّ مَعْلَمٌ خَاصٌ يَعْلَمُ الْجَحْشَ يَقْرَأُ  
وَيَكْتُبُ، يُمْكِنُ يَصِيرُ فَيَلْسُوفُ زَمَانُو.

فَوُجِدَتْ هَذِهِ النَّصِيحَةُ قَبُولًا فِي نَفْسِ الْمَلِكِ وَأَمْرًا بِإِحْضَارِ  
أَحَدِ كِبَارِ فَلَاسِفَةِ ذَلِكَ الزَّمَانِ وَطَلَبِ مَنْهَ أَنْ يَعْلَمَ الْجَحْشَ  
الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ.

قال الفيلسوف: «هذا غير ممكن، لأن أفلاطون كبير فلاسفة الدنيا يقول: «الإنسان حيوان ناطق»، أما الجحش فهو حيوان غير ناطق».

فغضب الملك وأمر بشنق الفيلسوف، ثم استدعى أمير شعراء المملكة وطلب منه أن يعلم الجحش القراءة والكتابة.

قال الشاعر: «هذا غير ممكن، لأن الشاعر العربي يقول: تعلم يا فتى فالجهل عارٌ

وليس بجاهلٍ إلا الحمار

فأمر الملك كذلك، بشنق أمير الشعراء، واستدعى أحد كبار رجال الدين وطلب منه تعليم الجحش القراءة والكتابة.

فقال رجل الدين: «هذا غير ممكن، لأن الله، سبحانه تعالى، خلق الإنسان على صورته ومثاله، ولم يخلق الجحش على صورته ومثاله».

فأمر الملك، كذلك، بشنق رجل الدين، ووقع اختياره، أخيراً، على معلم من إحدى المدارس الحكومية، فاستدعاه وطلب منه أن يعلم الجحش القراءة والكتابة.

قال المعلم: «عفواً يا مولاي، فأنا نفسي لا أقرأ ولا أكتب».

قال الملك: «وكيف جزت الامتحان أمام اللجنة الفاحصة؟».

قال المعلم: «ولكنني كنت أحد أعضاء اللجنة الفاحصة».

أخيراً أمر الملك أن يُنادى في المدينة أن جلالة خصص مكافأة كبرى لمن يستطيع تعليم الجحش، فانبرى لهذه الغاية رجل شيخ عجنته الأيام وخبرته التجارب، ودخل وجثا وقبل الأرض أمام الملك، ثم التفت صوب الحمار وحيّاه بجد ووقار.

فانبج ثغر الملك عن ابتسامة عريضة وهتف: «إذن أنت تفهم لغة الحمير»!

قال الرجل: «أجل يا مولاي، وها هوذا الحمار يرّد التحية إليّ بمثلها وذلك برمشة من جفنه وعطفة من أذنه، فليطمئن بال سيدي الملك، إنما لاختفاكم الأمر، أن القضية تأخذ بعض الوقت، وتستوجب بعض المصاريف لتأمين الأغذية والأشربة التي تشحذ ذهن الحمار وتساعد على الحفظ والاستظهار كالجوز والصنوبر والزنجبيل وشراب البيلسان والعسل والزبيب والخولجان وغير ذلك، وأملي بالله، إذا سلمتني هذا الحمار الآن، أن أعود به إليك بعد خمس سنوات وشهادته في رقبته.

فأمر الملك بفتح اعتماد خاص لهذه الغاية وضعه تحت تصرف الرجل، وسلمه الحمار، فجرّه وخرج به.



وكان بعض أصدقاء الرجل قد تجمعوا خارجاً وقلقت أفكارهم عليه، فإذا به يخرج والجحش وراءه ويخبرهم بما حصل.

قالوا: «ولكنك رجل مجنون، ماذا تفعل بعد خمس سنوات؟».

قال: «بعد خمس سنوات، إما أن يموت الحمار، وإما أن يموت الملك أو أموت أنا».

## الَّتِي مَا بَيْنَعَلَّمُ إِلَّا مِنْ كَيْسُو بِمَوْتِ قَبْلِ أَوَانُو

يُحْكِي أَنَّ رَجُلًا شَكَا مِنْ أَلَمٍ فِي ظَهْرِهِ وَأَرَادَ أَنْ يَرْتَاحَ،  
مَوْقِفًا فِي بَيْتِهِ، فَجَاءَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ يَزُورُونَهُ، قَالَ أَحَدُهُمْ:  
«سَلَامَتُكَ يَا بُونَصَارَ، هَذَا وَجَعُ الظَّهْرِ ثَلَاثُو خَتِيرِهِ، وَثَلَاثِينُو  
قَهْرٍ، يَبْكِبِرُ الزَّلْمِي وَمَا يَبْحِطُهَا وَاطِيهِ، وَحَرَمْتُو بِتَظَلُّ تَحْكُ  
عَالِجَرَحٍ حَتَّى يَنْزِلَ الدَّمُ».

فَقَالَ رَجُلٌ آخَرُ: «لَا، لَا، وَجَعُ الظَّهْرِ مِنْ خِيَانَةِ الدَّهْرِ،  
الْكِرِيمِ بِمَوْتٍ مِنْ وَجَعِ جَيْتُو، يُمْكِنُ بُونَصَارَ مُحْشُورٌ وَكَاتَمٌ  
عَلَّتُو».

وَدَخَلَ رَجُلٌ آخَرٌ وَتَبَرَّعَ بِنَصِيحَةٍ، قَالَ: «هَذِي «بَرْقَه»،  
بُونَصَارَ بِيْلَزْمُو مَغْطَسَ بَارِدٍ».

وَجِيءَ بِخَلْقَيْنِ مَلَأُوهُمَا مَاءً بَارِدًا وَضَعُوا الرَّجُلَ فِيهَا لِمُدَّةِ  
سَاعَتَيْنِ، وَعِنْدَمَا أَخْرَجُوهُ تَبَيَّنَ أَنَّ مَفَاصِلَهُ تَبَيَّسَتْ، فَأَشَارَتْ  
إِحْدَى الْعَجَائِزِ أَنَّ يَدَهُنَا جَسَدَ الرَّجُلِ بَزِيَّتٍ حَارًّا، فَدَهَنُوهُ  
حَتَّى تَقَرَّزَ جِلْدُهُ.

وصار كلما قدم قدم قادم تبرّع بنصيحة: كاسات هوا على  
ظهره، لزقة خردل على بطنه، «كيّ» فوق باب بدنه، شربة  
خروج، شربة دود، جراب حقنه وتحميله بدبس وما أشبه  
ذلك. وكانت اللياقة تقضي أن تنفذ جميع هذه الصفات  
إكراماً لخواطر أصحابها.

ومع تكرار الصفات تكرّرت النكبات: بقبق ظهر  
بونصار وفقفل بطنه وانحلت مفصلات جسمه، واصطكت  
أضراسه وضافت أنفاسه، فقلق عليه جلّاسه واستدعوا كاهن  
الرعية ليتداركه بنصيحة دينية قبل انتقاله إلى الأخدار  
السماوية.

وعندما حضر الكاهن، اختلى بالرجل وقال له: «لا بد  
أن تكون ارتكبت في زمانك خطايا مميتة، حتى ابتلاك الله بهذه  
العلل المقيّنة».

قال الرجل: «خطيئتي الوحيدة، يا محترم، أنني سمعت  
نصائح الناس، ونسيت نصيحة أمي قبل وفاتها: «إلي ما  
يبتعلّم إلا من كيسو بيموت قبل أوانو».

## مِنْ دَوْرَهَا نَاطِيشْ

كنت في المطار، وقررت أن لا أعود بدون قصة جديدة، فتغلغلت بين خلق الله المتدافشين، اتنصت لأقوالهم، وأتلقف بعض أخبارهم.

قرب المدخل، كاهن عرمرم، كان يجلس متقلقزاً، كأنه يوشك أن يخسر موعد جنازة لأحد الأغنياء، وحول الكاهن بضعة رجال، ذكّرني قسّمات وجوههم بالصخور المشرّبة بين كفرحونه وجزّين.

وكان بين هؤلاء رجل غشمشم - شلقه من جبل - فتح فاه، وتكلم من بطنه، قال: «تسع سنين بأمركا، وطنعشر سنة ببلاد الناورك، وخمس سنين مدري وين، شو قولك يا محترم، بعدو بيعرف يحكي عربي؟».

فتحلحل المحترم قليلاً، وقال: «حسب ظني، خيّك حمار، عقلو ما بيبوسع لغتين، إذا كان حفظ الانكليزي، بيبكون نسي العربي».

فسأل المتكلم من بطنه: «يا تعتيري! كيف بدنا نتفاهم معو؟».

أجاب المحترم: «مِنْدَوُّرْها تَلطِيش».

## علامات آخر الأوقات

بينما كنت أصعد إلى مجلس الجنوب، تعطل بي المصعد، فجأة، بين طابقين، وكان معي فيه امرأة وكاهن، ولم يكن أحدنا يعرف الآخر.

فرسم الكاهن، بأصابعه الثلاث، إشارة الصليب على صدره، وسكت. بينما فتحت المرأة حقيبتها، وانصرفت إلى إصلاح زيتها امام مرآة المصعد، وكأن لم يكن شيء.

فقلت مداعباً: «يا محترم! ما هي العلامات على آخر الأوقات؟» اجاب: «حكومه خربانه... وحدود فلتانه... وقلوب مليانه».

ثم التفت المحترم إلى المرأة المتبرجة امام المرأة، واستطرد: «وإذا خلّصنا الله، بخير، من هذه العلقة الملعونة، نعود إلى البحث عن سائر العلامات، على آخر الأوقات».

## وَسَّعْ بُوَابَكَ بِيَكْشَرِ وَأَصْحَابَكَ!

الصادق أبو ذيب فشفس يثق بي ثقة عمياء ويأبى أن يستشير أحداً غيري في أموره الخاصة، ولأنه منحني ثقته الغالية، فهو لذلك «يقلّدي جميله» كأن ثقته بي جعلتني وزيراً، سامحه الله .

واستناداً إلى ثقته يستوقفي أحياناً في الشارع، أو يتصل بي هاتفياً، أو يشرفني بزيارة، مع السيدة أم ذيب، ليأخذ رأيي في الباذنجان البلدي هل يسبب الارتخاء الجنسي، مثلاً، أو هل قرامي الملفوف تشفي من ريح السداد، وهل الاسكندر ذو القرنين مسلم أم نصراني، وغير ذلك .

في المقابل يمدّ أبو ذيب حديثاً مضمونه نصف أوقية من اللحم في دست برغل، وعلى عبدكم الفقير أن يهضم دست البرغل ليستخلص منه قليلاً من اللحم، بيد أي، مع ذلك، استطعت أن أستخلص من أحاديث الرجل بعض الطرائف:

- الحردون، يا أستاذ، حين يرى حية، يخاف أن تبتلعه، فيعمد إلى عود يقبض عليه بفمه، حتى إذا أدركته الحية

وحاولت ابتلاعه تعذّر عليها ذلك، بسبب العود في فم  
الحردون، فينجو بهذه الحيلة.

- الدجاجة، يا أستاذ لها جناحان ولا تطير، بسبب  
ضعف إرادتها، ولو أرادت لكان في إمكانها أن تطير.

- الزلمي، يا أستاذ، بكل الدنيا يركب على الحمار إلّا في  
بلادنا، أحياناً يركب الحمار على صاحبه.

- الحرمة، يا أستاذ، حرامي إن خوّنّها، وأجير إن  
أمّنتها، وبستان إن صوّنتها.

أمس جاءني الأخ أبو ذيب عند الصباح، وبسبب ثقته  
التامة بي دهمني مبكراً يستشيرني في أمرٍ هو غاية في الأهمية،  
قال:

- أم ذيب - أنت كبير القدر - ورّم باهم إجرها،  
أخذناها لعند الحكيم، قال، معها مرض وراثي اسمو «مرض  
الملوك»، ولك يا عمي! منين إجاها مرض الملوك؟ أبوها كان  
مكاري وأبو أبوها كان نوري اندبوري، ومين كلّف حضرتك  
تكشف حسب الحرمة ونسبها؟ بدون ملوك مشّ قادرين  
نهدّي رأسها.

رد الحكيم، قال: «هذا مرض الملوك سببو حموضه  
بالبول» لا، لا، هذي ألّعن وألّعن، كل شي إلّو حدود،  
هالغيميس برّات الصحن مش عاجبني، أنا بوذيب والناس  
بتعرفني.

مسكنا الحرمه وجبناها عالييت، حموضه ما حموضه، أنا ما بفهم، قالوا: «الكردى نط الحيط، هذا الكردى وهذا الحيط»، هاتى شوية بول حتى نفحصهم.

بلا طول سيره، ذقنا شوي، طلع يا أستاذ، وحياء شرفك حامض حامض، بيشحرق الزلاعيم، بدّي أعرف كيف عرف الحكيم إئو حامض من بعيد لبعيد...».

ولما كنت، أحياناً، أفهم بالإشارة، خشيت من ذيول هذه الاستشارة، فأزمت على انتحال فقدان الجدارة، مهما كانت الخسارة - لثلا يركب الحمار أخيراً على صاحبه - وقاطعت الأخ أبو ذيب وقلت في حرارة: «ولكن يا أخ بو ذيب، صدقني أنني فقدت ذوقي منذ شهرين وصرت لا أُميّز الحامض من الحلو، لذلك، لا أقدر أن أقدم إليك أي خدمة في هذا الموضوع».

ورحم الله عمي هندومه التي كانت تقول: «الي بيخلط حالو مع النخاله بياكلوه الدجاجات».



## ما يزرع الإنسان إياه يحصد

عندما أراد السيد المسيح أن يعلم تلاميذه بأن الإنسان لا يتبرر أمام الله إلا بأعماله، ضرب لهم مثلاً:

«إنسان كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا، فوقع بين لصوص، فعرّوه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حي وميت، وحدث أن كاهناً نزل في تلك الطريق فرآه وأعرض عنه، وكذلك لاوي أيضاً إذ صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله، ولكن سامرياً مسافراً جاء إليه - والسامري بنظر اليهود نجس ومنبوذ - ولما رآه تحن وتقدم وضمد جراحاته وصب عليها زيتاً وخمراً واركبه على دابته وأق به إلى فندق واعتنى به، وفي الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق وقال له اعتنِ به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعي أوفيك».

وكما فعل السيد المسيح، كذلك، فعل قبله معلم آخر من معلمي البشرية «الواحد المبارك» بوذا، الذي قال إن الناس كالأولاد يحبون سماع القصص ولا يفهمون الحقائق إلا بالأمثال، ومما جاء في كتاب «انجيل بوذا»، أن «الواحد

المبارك» ذهب يستجدي طعاماً من أحد البراهمة، فقال له هذا: «أليس من الأفضل أن تفلح وتزرع مثلي وتأكل خبزك بعرق جبينك؟».

أجاب الواحد المبارك: «اعلم أيها البرهمي أنني أفلح وأزرع مثلك».

فقال البرهمي: «واين هي، إذن، ثيرانك وحبوبك وسكة الفلاحة؟».

أجاب بوذا: «الأيمن هو الحبوب التي أزرعها. والعمل الدائب هو الماء الذي يسقي حبوبي وينميها، والحكمة هي سكة حراثتي، والعقل هو الذي يوجه خطاي، وبذلك أجنبي ثمر الخلود».

فالقصاص والأمثال هي ألصق أنواع الأدب بالجماهير وأقربها إلى مفاهيم الناس، وقد عثرنا مؤخراً على قصة شعبية جميلة ذات مضمون أخلاقي، تتلاءم مع أسلوب جماعة من المؤمنين، في طريقة تلقين أبنائهم بعض الفضائل عن طريق الدين، أو ما يشبه الدين، وقد أوردناها هنا، كما رواها الراوي لنا، كي لا تفقد براءتها، لأن قيمة القصة في أصالتها:

اتفق أن ثلاثة من الرجال داهتهم أمطار غزيرة، فيما كانوا عائدين إلى قريتهم، فالتجأوا إلى مغارة قريبة، وطمت السيول عندئذ فجرفت صخراً كبيراً ألفته على باب المغارة

فسدّت عليهم منافذ الخلاص. قالوا حينئذ: «فليضرع كل واحد منا لله تعالى، حسب أفعاله ونواياه لعل الله يرأف بنا».

فقال الأول: «يا إلهي، أنت تعلم ولا أحد غيرك يعلم، أني عامل آكل لقمتي بعرق جبیني، وأشتغل يومياً عند أحد الناس، فأقبض أجري عند المساء وأشتري به طعاماً لأبي وأمي ولي. وأنت تعلم يا إلهي، أن والديّ عاجزان ومريضان، ويحدث أحياناً أن أجدّهما نائمين عند عودتي في المساء، فاتهيّب من ايقاظهما وأقف منتظراً حتى يستيقظا، فأضع الطعام أمامهما حتى يأكلا ويشبعا، فأكل أنا عندئذ مما تبقى عنهما وأطلب رضاها وآوي إلى فراشي. وأنت تعلم يا إلهي، ولا أحد غيرك يعلم، أنني أقوم بعملٍ هذا بكل طيبة خاطر لأن «رضا الله من رضا الوالدين».

ولم يكمل الرجل كلامه حتى تزعزع الصخر عن باب المغارة قليلاً بحيث يدخل النور إلى المغارة ولا يستطيع الرجال الثلاثة أن يخرجوا منها.

ثم قال الرجل الثاني: «يا إلهي أنت تعلم ولا أحد غيرك يعلم، أنني معاز، وحدث أن استأجرت أجييراً لرعاية ماعزي، غير أن هذا الأجير، بعد أن عمل في خدمتي زهاء نصف سنة، ذهب ولم يعد، وبقي أجره في ذمتي، فانتخبت معزاة من ماعزي يعادل ثمنها قيمة أجر الأجير، ودمغتها بعلامة فارقة واحتفظت بها بين ماعزي لحساب أجييري هذا.

ومرت سنة ولم يعد الأجير، فعشّرت المعزاة وولدت معزاة أخرى، ثم صارت المعزاة تعشر وتلد، ومثلها بناتها وحفيداتها التي كانت تتوالد وتتزايد على مرور السنين، وكنت أدمغها جميعها بالعلامة الفارقة وأحتفظ بها بين ماعزي.

وبعد أكثر من عشر سنوات عاد الأجير وقال لي: «إذا كنت تتذكر، وتريد أن تبرىء ذمتك معي فأعطني ما يطلع من خاطرك».

فقلت له: «أنت تعرف موقع الحظيرة فادخل إليها واخرج منها كل رأس من الماعز مدموغ بعلامة فارقة فهولك». ولم يمض سوى برهة وجيزة حتى أصبح أكثر من نصف القطيع خارجاً، فأمرت للأجير بعصا «وزوادة»، ودعوت له بالسلامة. وأنت تعلم يا إلهي، ولا أحد غيرك يعلم، أنني فعلت كل ذلك عن طيبة خاطر».

ولم يكمل الرجل كلامه حتى ترحل الصخر ثانية ولكن إلى درجة لا تكفي لخروج الرجال الثلاثة من المغارة.

فقال الرجل الثالث: «يا إلهي أنت تعلم ولا أحد غيرك يعلم أنني وحيد لوالدي، ولي ابنة عم توفي والداه وكانت لا تزال طفلة، فضمّتها والدي إلى عائلتنا وربيّت في بيتنا كأنها شقيقتي. وعندما شبّت قال والدي: «لنأخذن ابنة عمك زوجة لك، فهي جميلة ومهذبة وتحملنا في آخرتنا».

وأنت تعلم يا إلهي ولا أحد غيرك يعلم، بأنني كنت

أشعر أن ابنة عمي هي من لحمي ودمي ومثل أختي، ولا قبل لي باتخاذها زوجة لي وإن كانت سترتها واجبة عليّ - إذا لزم الأمر - والستر عليك يا ستار يا أرحم الراحمين، ولكنني كنت أنا الآخر مهذباً لدرجة أنني لم أقدم على مخالفة والدي.

وهكذا عقد لي على ابنة عمي وصارت حليلتي على شريعتك اللهم وعلى عيون الناس، إلا أنني اتفقت سراً مع ابنة عمي على أن تبقي علاقتي معها علاقة شقيق بشقيقته، إلى أن تفعل يا إلهي ما تراه مناسباً. وبعد خمس سنوات توفي والدي، فجمعت بعد دفنه، كبار رجال عائلتنا وأطلعتهم على الحقيقة وقلت لهم إن كل ما تركه والدي من أرزاق وأموال ومواشٍ هي مناصفة بيني وبين ابنة عمي.

وبعد أقل من سنة عُقد على ابنة عمي لرجل من أبناء عائلتنا، فابرات ذمتي معها كما وعدت واتخذت بعدئذ واحدة من بنات قريتي زوجة لي، «وأنت تعلم يا إلهي ولا أحد غيرك يعلم أنني فعلت ما فعلت عن طيبة خاطر».

ولم يُنه الرجل كلامه حتى تدحرج الصخر عن باب المغارة، فخرج الرجال الثلاثة منها وعادوا إلى بيوتهم سالمين.

## ميشاق خبز وملح

وهناك قصة شعبية ثانية لها نكهة جبال لبنان ورائحة  
فحمه وحطبه، يقول الراوي:

في أيام أبائنا وأجدادنا، في زمن الخير والبركة - كذا -  
ظهرت في إحدى قرانا النائية ظاهرة غريبة: فسدت الخميرة،  
عجين القرية لا يختمر، خبزها صار بلا «حيل»، حدثت عدة  
مناقشات ومشاحنات حول تناير القرية، أرغفة الخبز أخذت  
تتفتت وتتساقط عن «الكارات» قبل وصولها إلى «الصاجات».

ماذا حدث للخمائر حتى فسدت؟

قال قائل إن حجر مطحنة القرية أصبح «حافياً»...  
«فنقشوه».

وتكهن ثانٍ بأن نوعية الملح المستعمل في العجين عاطلة:  
فأبدلوه.

وشك البعض أن عين القرية «ملعوب فيها»، فنظفوها.  
ولكن دون جدوى.

في ذلك الزمان كان ما زال يعيش في القرية شيخ من أصحاب الرأي «والروية» عجنته الأيام وخبزته التجارب. فقال لمن حوله: «حققوا لي عن صاحب أول بيت فسدت خميرته وأحضروه إلي». وإذا برجل يتقدم ويؤكد أن زوجته كانت أول من لاحظت خميرتها.

فبحلق الشيخ به وقال: «يا ويلك من الله، خطيئنا برقبتك، قل ولا تكتم عنا شيئاً، من أطعمك خبزاً وملحاً فخنثه؟».

فارتبك الرجل ووهنت قواه وقال: «المشحرجي الذي أبيع فحمه بالأمانة، كان قد دعاني إلى بيته وقال لي: يجب أن نتمايح قبل أن نتعامل فيصير بيننا «خبز وملح»، ولكن النفس أمارة بالسوء والإنسان مفطور على الخطأ، فاصفحوا عن جرمي وها أنا ذاهب أبرئ ذمتي معه».

## من عبيد إلى بعقلين «كل كوع بقرش»

يحكى أن مرسلأ أميركياً أراد أن يأتي من بعقلين إلى عبيه، وأحب أن يستأجر فرساً فطلب صاحب الفرس أجرة مقدارها خمسون قرشاً، ثم سأل عن أجرة الحمار - على اعتبار أن أجرة الحمار أقل من أجرة الفرس - فقال المكاري «حسب الأكواع، كل كوع بقرش»، فاختار المرسل ركوب الحمار، ولو كان في ذلك بعض المشقة، على أمل أن لا يكون عدد الأكواع كبيراً.

وأخذ الحمار يهبط بالسائح كوعاً بعد كوع حتى وصل إلى وادٍ سحيق وأخذ بعد ذلك يصعد به كوعاً بعد كوع حتى وصل إلى قرية كفرحيم، ثم بدأ يهبط من جديد في طريق موعرة متعرجة، فكان المرسل لا يتمالك نفسه على الحمار فيضطر إلى النزول ثم إلى الركوب، وهكذا دواليك حتى وصل إلى مكان فيه جسر، وكان عدد الأكواع قد أربى على مئة كوع.

وهناك أراد المرسل أن يعرف اسم الجسر، فقال



المكاري: «إنه جسر القاضي يا سيدي»، فقال المرسل: «ولن كان يقضي ذلك القاضي هنا، في هذا الوادي البعيد؟»، فلم يجد المكاري جواباً على هذا السؤال.

فقال المرسل: «أنا أعرف ذلك، إنه كان يقضي بين أصحاب الحمير، وبين الحمير الذين يركبون على الحمير، عندما يختلفون هنا على عدد الأكواع».

\* \* \*

وجسر القاضي هذا بناه الأمير زين الدين القاضي أحد الأمراء التنوخيين في القرن السابع عشر، وقد وصفه الشاعر الشعبي خليل روكز بقوله:

«جسر القاضي وآثارو

من عمر بعلبك صاروا

حُودب تا تظل الأجيال

تدبدب من تحت حجارو»

ولهذا الجسر تاريخ مجيد، قيل إن الأمير زين الدين المذكور كان يتنزّه يوماً، قرب النهر وإذ بامرأة تُشمر ثيابها لتعبر المخاضة، حيث بُني الجسر في ما بعد. وحين لاحظت المرأة أن بعض الأنظار تتجه إليها أرخت ثيابها لتبتل صوناً لشرفها.

فما كان من الأمير زين الدين، حين رأى ما حدث، إلا أن أمر حالاً ببناء جسر في ذلك المكان لكي تتمكن النساء من

عبور النهر دون تشمير أثوابهن. وبذلك يقول شحرور  
الوادي:

يا جسر من بين الجسور بينعرف  
بفضل قاضي العمرو الدهر  
من أجل حرمة النهر بلل ثوبها  
عمرو حتى يحافظ عالشرف

القسم السابع

” مِنْ كُفْبِ الدَّسْتِ ”



## مِنْ كَعْبِ الدَّسْتِ

كان يحدث، في أيام حدثي، أن يعرض أحد القرويين نعارة «قاورما» للبيع، فيقول ويؤكد ويُقسم بأحد الأنبياء أنه عبَّأها «من كعب الدست».

ولا شك أن القاورما، وهي من أشهى المأكولات الشعبية، اختراع شعبي لحفظ اللحم مدّة طويلة، ولاسيما في فصل الشتاء، وذلك قبل عهد البرّادات الكهربائية.

وكانوا يصنعون القاورما، وهي قطع من الهبر مطبوخة بالدهن، في دست كبير. ثم يعبّئونها بعد طبخها في نعائر من الفخار، فتبقى صالحة للأكل طوال فصل الشتاء.

ولما كان الهبر، وهو أطيب وأثمن من الدهن، يرسب في كعب الدست عند طبخه، لذلك كان القروي إذا تكلم عن جودة ما عنده من القاورما، يقول انها «من كعب الدست»، أي أن كمية الهبر فيها أكثر من كمية الدهن.

ثم صرنا نستعير «كعب الدست» في كلامنا عن المأثورات الشعبية، كقولنا «حكاية من كعب الدست» أو «خبرية من كعب الدست»، أو «تصريح من كعب الدست»، وما أشبه ذلك.

## عُذْرُ أَقْبَحَ مِنْ ذَنْبٍ

من أشهر مصطلحات الكلام على ألسنة الناس «عذر أقبح من ذنب» الذي جرى مجرى الأمثال. وهناك حكاية قديمة عن أصل هذا المصطلح ترقى إلى عصر الخليفة هارون الرشيد الذي نسج الأدب الشعبي حوله حكايات كثيرة، ومنها هذه الحكاية.

يُحكى أن هارون الرشيد الذي اشتهر بالدعابة والمجون كان قد خصَّص مكافأة مقدارها مئة دينار لمن يأتيه «بعذر أقبح من ذنب».

وذاع الأمر بين الخاصة والعامة، واحتار القوم جميعاً، إذ كيف يكون العذر عن ارتكاب أي ذنب أقبح من ارتكاب الذنب نفسه.

وحدث أن خرج الخليفة الرشيد، بعد ظهر أحد الأيام، إلى حديقة القصر، حسب جاري عاداته، واستلقى في مقعده الخاص، في ظلّ شجرة البيلسان، حيث أخذته سنة من الكرى.

فنقدّم حارس الحديقة، برفق، وقبّل خدّ الخليفة الذي استيقظ مذعوراً وصرخ بالحارس: «ويحك أيها المجرم، كيف تجرأت وقبّلتني في خدّي، بكل استخفاف وعدم تقدير لسوء العاقبة».

وامر الخليفة أن يُجلد الرجل مئة جلدة.

فقال الرجل بكل هدوء: «أرجو المعذرة يا سيدي، فقد ظننتك صاحبة الجلالة الملكة».

فثار عندئذ غضب الخليفة وقال: «إذن، أيها المجرم السافل، كنت تريد أن تعتدي على شرف الملكة، وهذا ما لم يتجاسر أحد قبلك حتى على التفكير فيه».

وأمر الخليفة أن يُعدم الرجل فوراً.

فابتسم الرجل وقال: «ولكن مهلاً يا سيّدي، إن جوابي هذا ما هو إلا «عذر أقبح من ذنب»، وما دام «العذر» هذا الذي قدّمته إليك قد أثار غضبك أكثر بكثير من «الذنب» الذي اقترفته معك أكون، إذن، قد قدّمت إليك «عذراً أقبح من ذنب»، حسب طلبك... فمُر لي إذن بالمئة الدينار، لكي يبقى كلام الملوك ملوك الكلام».

## أهل الجاروف، معروف

من عادة أبناء المناطق الجبلية في لبنان اساءة الظن بأبناء المناطق الساحلية. وقد يكون مَثَل «أهل الجاروفه، معروفه» من تشنيعات أبناء الجبل على أبناء الساحل.

فإذا التقى رجل من أبناء الجبل رجلاً آخر بادره بالسؤال: «من أين حضرة الأخ؟» فإذا كان من إحدى قرى الساحل أعرض عنه وظنَّ عليه بمجاملة... لأن «أهل الجاروفه، معروفه».

وأهل الجاروفه هم أبناء الساحل غير الموثوق في تعاملهم، حسب ظن أبناء الجبل. وقد يكون اختلاف أبواب الرزق وطرق المعيشة، بين أبناء الجبل وأبناء الساحل، قد أوجد تبايناً في العادات والتقاليد هو أصل هذا الرأي.

ففي القرى الجبلية ما يُسمَّى «العونة»، وهي تعاون أكثر أبناء القرية في أعمال تحتاج إلى أيدي كثيرة، وتتم العونة بفرح وإخلاص يقويان أواصر الثقة والتلاحم بين أبناء القرى الجبلية.



والجاروفة المعروفة في القرى الساحلية هي شبكة لصيد الأسماك تكون طويلة وثقيلة ومشدودة بحبال من طرفيها إلى البرّ، يحملها قارب ويلقيها بعيداً في البحر، ثم يتعاون أكثر رجال القرية لجذبها، بالحبال من طرفيها، إلى البرّ، مع ما في داخلها من أسماك. فإذا فرغوا من جرف الجاروفة وجلسوا لاقتسام الأسماك اختلفوا وتشاجروا، ربما بسبب اختلاف أنواع وأحجام الأسماك، وبسبب الفروقات في أسعارها.

لذلك، يُسوّى الظن أبناء القرى الجبلية بأبناء القرى الساحلية، وهم يؤكّدون سوء ظنهم بهم بقولهم: أهل الجاروفه، معروفه». أي أن التعامل مع أهل الجاروفة، أي أبناء القرى الساحلية - غير مأمون العواقب.

## خبز "بكماج" ولحم الدجاج!

كما توجد تشنعات ضد أبناء الساحل، هكذا توجد تشنعات ضد القرويين، أبناء الجبل، الذين كانوا يعيشون في عزلة وقلماً نزلوا إلى المدينة وخبروا ضروب أسعارها وألاعيب تجّارها.

وكان القروي إذا حدث أن هبط يوماً إلى المدينة، وعبر أمام أحد المتاجر، هبّ التاجر و«أهل وسهل» ورحب «بالأخ» أو «بالحاج» أو «بالشيخ»، ودعاه إلى الدخول، فيقبل القروي دعوة التاجر ويدخل مسلماً، ولا يلبث التاجر أن يُغري الرجل بالشراء مما عنده، فيبيعه الرديء بسعر الجيد.

وكان التاجر يبرّر عمله، بينه وبين ضميره، بالمثل القائل: «خبز «بكماج»، ولا لحم الدجاج». أي، لا فرق عند القروي بين الجيد والرديء.

و«الكماج» هو الخبز الفرنجي، كما كانوا يسمّونه - والكلمة تركية - أمّا المثل فله حكاية تقول إن قروياً قدم إلى

المدينة ومرتاً أمام بائع خبز فرنجي وسأله ما هذا، أجاب  
البائع: «هذا كماج».

قال القروي في نفسه، لا بد أن يكون «الكماج» مأكولاً  
لذيذاً حتى أطلقوا عليه هذا الاسم العجيب الغريب...  
وبدون تردد اشترى القروي «رغيف كماج»، دون أن يعرف  
حقيقته، وفتح زوادته من الخبز المرقوق وراح يُغمس خبزاً  
مرقوقاً «بكماج»، على بركة الله.

وعندما رجع القروي إلى القرية وقدم القوم للسلام عليه.  
أخذ يحدّثهم عن مشاهداته وانطباعاته في المدينة حتى وصل  
إلى خبر «الكماج» فأسهب في وصفه وفي لذة طعمه، فسألوه:  
«وهل يؤكل «الكماج» وحده أم مغمساً بالخبز».

فهزّ الرجل رأسه وأجاب: «خبز بكماج... ولا لحم  
الدجاج!»

وصارت هذه العبارة مثلاً يقال في مَنْ لا يُميّز بين الجيد  
والرديء.

## إِجَاكَتْ مِين يَعْرِفُكَ يَا بَلُوط !

الصدیق المطران بولس الخوري من أسياد المجالس وناثري الدرر والنفائس . ومن مآثره الحميدة كتابه الصغير السمين «أمثال وأقوال مأثورة» الذي ضمَّنه مجموعة ثمينة من الأمثال الشعبية مع بعض حكاياتها . ومنه اقتطف هذه الحكاية .  
يُحكى أن رجلاً من بر الشام - أي سوريا كما يسميها المصريون - كان ماراً في أحد شوارع القاهرة حيث التقى صديقاً مصرياً فعاتبه هذا بقوله : «إنكم ترسلون إلينا من بر الشام ، مختلف أنواع الفاكهة ، وهي جميعها ممتازة ، ما عدا الكستناء الشامية التي بدأتُم مؤخراً ترسلونها إلينا وهي غير جيدة» .

فتعجَّب الرجل الشامي وقال : «ولكن الكستناء لا تنبت في بر الشام !»

قال المصري : «إذن تعال معي فأريك أين نباع الكستناء الشامية» .

ومشى الرجلان إلى حيث كان رجل يجرّ عربة عليها عرمة  
من البلوط يشويه ويبيعه وهو ينادي: «شاميّه يا كستنا».

فصاح الشامي: «ولكن هذا بلوط، لا كستناء».

فنظر المصري إلى عرمة الكستناء المزعومة وقال: «إجاك  
مين يعرفك يا بلوط!».

فجرى جوابه مثلاً إلى يومنا هذا.



## حِمْيَرُ الْكِتَابِ

وقعت سنة ١٩٤١ معركة ضارية بين جيوش الحلفاء والجيش الفرنسي، كانت ساحتها قرية إبل السقي، فتشت سكانها كيفما وأينما قادتهم أرجلهم. وعندما استقرت الأمور أخذوا يعودون أفواجاً وأفراداً، وكنت أنا واحداً منهم.

وحدث أن التقيت أحدهم عائداً إلى القرية، وهو فلاح بسيط، وسألته: «أين هربت ساعة المعركة؟».

فانتفض وأجاب: «عليم الله أنا ما هربت، بس «انحدفت» صوب حاصبيا».

وعندما نشرت كتابي الأول «لثلاً تضيع»، جعلت جواب مواطني هذا حكمة كتابي المفضلة: من العار أن تهرب، لكن لا بأس إذا «انحدفت».

\* \* \*

في نطاق بحثي عن حكايات العامة وعن ماثورات كلامهم نشأت بيني وبين بعض البطالين عن العمل علاقات

ودّ متبادل، فاستوطوا حيطي وعملوني شغلهم وعملتهم،  
يستوقفوني في الشارع ويكلموني في الهاتف، ويسهرون عندي  
يتحدثون ويتجادلون، يبيعون ويشتررون، يفصلون ويلبسون  
حتى منتصف الليل.

لذلك، عندما نشرت كتابي الثاني «في الزوايا خبايا»  
جعلت حكمته المفضلة ما تعلمته من أحد شيوخ قريتي:  
«البطال لا تعالجو بيعمك شغلتم!».

فما هي حكمتي المفضلة في هذا الكتاب؟.

\* \* \*

كنت أريد أن أتكلم وحدي في مجالس الرجال، وأن لا  
يتكلم أحد غيري. فإن اعجابي بنفسي، من خلال أقوالي،  
يفوق اعجابي بكل من جالستهم وحادثتهم في حياتي من سادة  
الكلمة.

وكان عندي لكل مقام كلام، ولكل مناسبة قصة.  
شحنت ذاكرتي بمأثورات الأقوال التي تكفيني لحشرات الزمان  
ورحت أتلوها في كل مكان.

كان هذا شأني مع الناس، ولا بأس، حتى تفاقت  
الأحداث في لبنان، في منتصف سنة ١٩٧٦، ففطنت إلى  
حكمة كتابي الأول «وانحدفت» إلى البرازيل.

واستويت في مجلسي ذات مساء، في مدينة سانبولو، لأبدأ



حديثي، فعاجلني أخ لي هاجر إلى البرازيل منذ اثنتين وخمسين سنة، بقصة، قال:

- اصطاد أحد الشبان حسّوناً حياً حملة لبيعه في المدينة، فسأله رجل عن ثمنه. قال الشاب: «خمسون ليرة».

قال الرجل: «هذا الثمن الكبير لهذا الحسون الصغير؟». قال الشاب: «ولكن هذا الحسون قيمته في لسانه، يغني ويتكلم بدون انقطاع من الصباح حتى المساء».

فاقتنع الرجل واشترى الحسون بخمسين ليرة.

وكانت عند الشاب دجاجة عتيقة لا تبيض ولا تصلح للأكل، فحملها في اليوم التالي إلى بيت الرجل الذي اشترى الحسون منه وعرض الدجاجة عليه.

قال الرجل: «وكم ثمنها؟».

قال الشاب: «مئة ليرة فقط».

فذهل الرجل، وقال: «ومتى كان ثمن الدجاجة مئة ليرة؟».

قال الشاب: «وهل نسيت أنك اشتريت الحسون مني أمس بخمسين ليرة، ألا تشتري الدجاجة بمئة ليرة؟».

فابتسم الرجل وقال: «ولكن الحسون يتكلم!».

فقال الشاب: «والدجاجة تسمع!».

وأضاف الشاب: «ألا تعلم أن جميع الناس، في هذه

الأيام يريدون أن يتكلموا، ولا أحد يريد أن يسمع، لذلك قل عدد المستمعين وزاد عدد المتكلمين، حتى صار ثمن من يسمع ضعفي ثمن من يتكلم».

هكذا، جعلت حكمتي المفضلة في هذا الكتاب: أن أتكلّم قليلاً وأسمع كثيراً، وليردّ الله عني شر البطالين، حتى لا يعملوني شغلهم وعملتهم.

# فهرس

٧	.....	مقدمة الطبعة الخامسة
٧	.....	مقدمة الطبعة الثانية
٨	.....	مقدمة الطبعة الأولى

## القسم الأول

### أدب العامة في لبنان

١١	.....	أدب العامة أدب الإنسان
١٣	.....	حكى قرايا وحكى سرايا
		إن شفت الفقير معجوق
١٤	.....	قول الغني مسخرو
١٥	.....	ما في جود إلا من الموجود

- ١٦ ..... ابن حكومة، بس ابن أوادم
- ١٧ ..... لَوَّث خنجرِكَ ولا تلوَّث لسانَكَ
- ١٨ ..... وصل الخبر لبو طبر
- ١٩ ..... الناس مع الواقف
- ٢١ ..... المهم، أن تقتنع الدجاجة!
- ٢٢ ..... يا ما ناس ماتت بالغلط
- ٢٣ ..... كل مصه بغصه
- ٢٤ ..... إنت رحت من بالي
- ٢٥ ..... من قِلّة الرجال، سَمَو الديك بو قاسم
- ٢٧ ..... الرمح ما بيتخبّا بالعذيلة
- ٢٨ ..... لا سلام ولا كلام
- ٢٨ ..... حسب السوق مِنسُوق
- ٢٩ ..... اللي بيدري بيدري والي ما بيدري بيقول كفّ عدس
- ٣١ ..... أَلَف قولة «آخ»

## القسم الثاني

### المرأة مرآة الرجل

- ٣٥ ..... المرأة في أدب العامة
- ٣٧ ..... فلسفة فهم طبائع النساء
- ٣٨ ..... المرا مرارة: يا غشيمة يا قهارة
- ٣٩ ..... المحروس بدو عروس
- ٤٢ ..... زلمتها على طبطاب كيفها

٤٣	لا تلزوا! واقف عاشوار
٤٨	لا تلوم الغائب تا يحضر
٤٩	هيهات تقملو قائمه
٥٠	المرا خزنة، والزلم بلا أمانه
٥٠	يودوا نعاويها ولا يتعبروا فيها
٥١	ما بتنقفر البضاعه، إلا بعد الحبل والرضاعه
٥٣	ختيار بالدار، ولا عازة الجار
٥٥	طلاق الكبير، يا قلة التدبير
٥٦	أول دفعة من حق العجل
٥٩	البقّ ولا النّقّ
٦١	رجعت سلتها بلا تين
٦٣	شحار ومية شحار

## القسم الثالث

### لكلّ مقام مقال

٦٧	ألف أجير يسرق ولا شريك يحاسب
٦٨	إن حزّت المحزوزية كل عترة بتلحق قطيعها
٧١	لازم سلامو يسبق كلامو
٧٢	لا يشكرك بحياتك ولا بيرحمك بمماتك
٧٤	من صبر ظفر
٧٧	نفذ المقدر
٧٨	المسنود يحكي

- ٧٩ ..... وساع في الدنيا وفي الآخرة
- ٨٠ ..... عالحصير، لا طويل ولا قصير
- ٨٢ ..... ما في بزقه تحت حجر بتختفي
- ٨٣ ..... اللي ببزق ضد الريح بترجع بزقتو عاوجهو
- ٨٤ ..... ألف كسرة رجل ولا كسرة خاطر
- ٨٦ ..... ألف زلة قدم ولا زلة لسان
- ٨٧ ..... بالعربي الفصيح
- ٨٩ ..... كل بحواش إلو محواش
- ٩٠ ..... لولا الكاسوره ما عمرت الفاخوره
- ٩١ ..... التغميس براه الصحون
- ٩٣ ..... ناب الكلب بجلد الخنزير
- ٩٤ ..... صار اللي صار
- ٩٥ ..... مش رمانه قلوب مليانه
- ٩٦ ..... قوله «يا خوريه» ولا كيس خمسمية
- ٩٧ ..... حكي أصولي وحكي غير أصولي
- ٩٨ ..... كل دعسه بطمسه
- ٩٩ ..... بدك تأكل عنب يما بدك تقتل الناطور؟
- ١٠٠ ..... إن شكرتم لأزيدنكم
- ١٠١ ..... المعربس قَصّو ولو نقص نصّو
- ١٠٣ ..... اللي طيلع الحمار عالميذنه بيتزلو
- ١٠٤ ..... إن فرغت جيوبو، كثر عيوبو
- ١٠٥ ..... مقام المثل في الكلام مسك الختام

- ١٠٦ ..... اختلف البحر والريح طلعت الفلّة عالمركب  
 ١٠٧ ..... بمشي الحيط الحيط  
 ١٠٨ ..... لكل مناسبة مثل  
 ١٠٩ ..... تاجر القوت محقوت  
 ١١٠ ..... عندما تلحفصت الأرض

### القسم الرابع اصطلاحات الكلام عند العامة

- ١١٥ ..... صنعة بعقايد  
 ١١٦ ..... اصطلاحات الكلام  
 ١٢٠ ..... أهل الحل والربط  
 ١٢٢ ..... مكسر عصا  
 من اشتغل عندي وأخذ كراه  
 ١٢٤ ..... لا هو شريكي ، ولا أنا مولاه  
 ١٢٥ ..... بنّادم أسود راس  
 ١٢٦ ..... صار بيناتنا خبز وملح  
 ١٢٧ ..... حاطط بكعارو  
 ١٢٨ ..... تبليط البحر  
 ١٢٩ ..... مسك الختام  
 ١٣٠ ..... مشط لحيتو  
 ١٣٢ ..... شايف حالو  
 ١٣٣ ..... غراب البين

١٣٤	مثل جراب الكردي
١٣٥	عيني فيها وتفوه عليها
١٣٦	سلم علينا من قفا إيدو
١٣٧	الكرسي بتنسي
١٣٩	صار فينا مثل هذيك الحكاية
١٤٠	ويلي وطيلي
١٤١	قصة مزارب العين
١٤٢	ابن الحلال عند ذكر وبيان

### القسم الخامس

## من كل وادي عصا

١٤٥	لو كان فيها خير ما رماها الطير
١٤٧	الدنيا حك جحاش
١٤٩	شخشبة أفكار
١٥٠	لعب الفار بعبو
١٥٣	من عظام الرقبة
١٥٤	لا يموت الذيب ولا يفنى الغنم
١٥٥	قد بساطك مد إجرىك
١٥٦	أكثر من القرد ما مسخ الله
١٥٨	قوم بلا جهال ضاعت حقوقهم
١٦٣	بيعو بقرد ومقرعة
١٦٧	اختلط الحابل بالنابل



- ١٦٨ ..... الملاحم في أدب العامة
- ١٧٣ ..... عميان القلوب
- ١٧٤ ..... جناح الأم يبلم
- ١٨١ ..... لا تعيري ولا تستعيري
- ١٨٢ ..... وجناح الأب طيار
- ١٨٥ ..... إن جنوا ربك، عقلك ما ينفعك
- ١٨٧ ..... الله ينجيننا من حلة الحبل
- إذا تغير مجرى الريح
- ١٨٨ ..... حط راسك تحت جناحك واستريح

### القسم السادس

## جرب الزوادة

- ١٩١ ..... هي ليلة يا مكارى
- ١٩٧ ..... فقير تعينو، ولا غني تخونو
- ١٩٨ ..... ألف قلبه، ولا غلبه
- ٢٠٥ ..... أنكلزلي تا أنكلزلك
- ٢٠٩ ..... رفيق الطريق ما هو صديق
- ٢١١ ..... لا تشتري حماره وأمها بالحاره
- ٢١٢ ..... إما أن يموت الحمار، وإما أن يموت الملك
- ٢١٦ ..... اللي ما بيتعلم إلا من كيسو ييموت قبل أوانو
- ٢١٨ ..... مندورها تلطيش
- ٢١٩ ..... علامات آخر الأوقات

٢٢٠	..... وَسَّعَ بَوَابَكَ بِيَكْثَرُوا صَحَابَكَ
٢٢٣	..... مَا يَزْرَعُهُ الْإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصِدُ
٢٢٨	..... مِيثَاقُ خَبْزٍ وَمِلْحٍ
٢٣٠	..... مِنْ بَعْقَلَيْنِ إِلَى عَبِيهِ «كُلْ كَوْعَ بَقْرَشٍ»

### القسم السابع

## ”مِنْ كَعْبِ الدَّسْتِ“

٢٣٥	..... مِنْ كَعْبِ الدَّسْتِ
٢٣٦	..... عَذْرُ أَقْبَحَ مِنْ ذَنْبٍ
٢٣٨	..... أَهْلُ الْجَارُوفَةِ، مَعْرُوفُهُ
٢٤٠	..... خَبْزٌ «بِكَمَاجٍ» وَلَا لَحْمَ دِجَاجٍ
٢٤٢	..... إِيَّاكَ مَنِ يَعْرِفُكَ يَا بَلُوطٌ
٢٤٥	..... حِكْمَةُ الْكِتَابِ